ثلاثية زودياك



حين يأتي الخوف



دار فانتازيون للنشر



حين يأتي الخوف

✦الأعمال المشاركة في مسابقة حرب النجوم✦

تصميم الغلاف: محمد أبو الهنا

التدقيق اللغوي: هبة النجار

التحرير الأدبي والإخراج الداخلي: إسلام علي

رقم الإيداع: 2017/25091

مدير النشـــر: محمد الدواخلي

إشراف فنـــي: إسلام علي

المدير التنفيذي: إبراهيم السعيد

المدير العـــام: محمد مجدي أبو الهنا

facebook.com/FantasiansPub

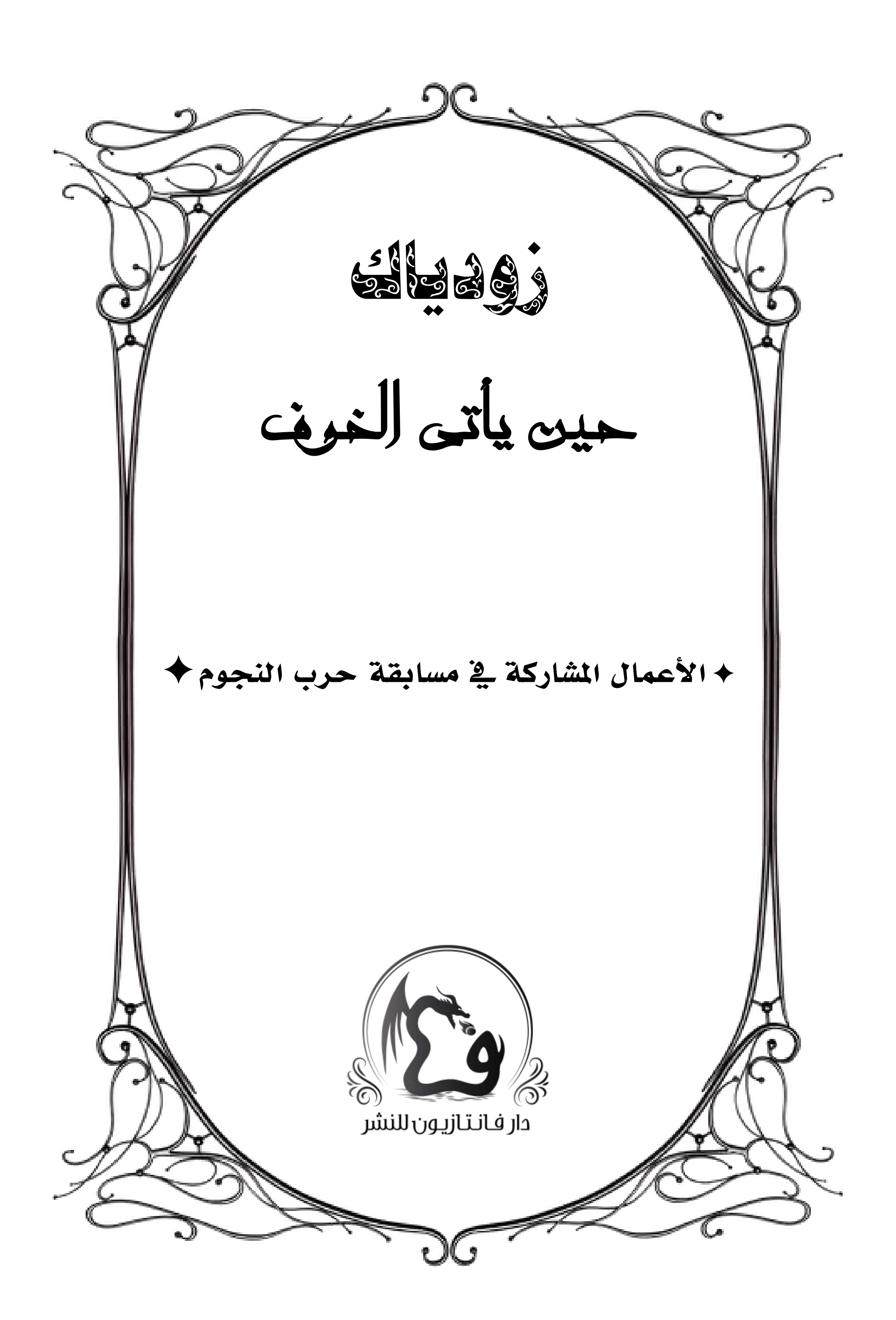
Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

للتوزيع في مصر والوطن العربي: 002-01090752916

صفحة رابطة فانتازيون: facebook.com/Fantasians



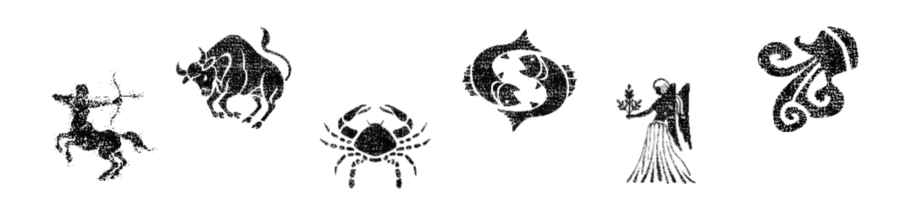


زودياك

حين يأتي الخوف

✦ الأعمال المشاركة في مسابقة حرب النجوم ✦

دار فانتازيون للنشر



❃ زودياك (حرب النجوم) ❃

في منتصف العام 2017، انطلقت منافسات (حرب النجوم) بين 4 جروبات أدبية كبرى ✦(عندما يبتسم الجحيم)، (مشاعر غالية)، (الفزع في كلمات) و(فانتازيون)✦ بـتيمة عامة هي الأبراج الفلكية، حيث تنافست الجروبات الأربعة طوال 6 جولات لإبراز أقوى ما لديها من فنون الفانتازيا والرعب والرومانسية.

وكهدية انطلاق، وعدت دار **فانتازيون** أن تنشر جميع الأعمال المشاركة في المنافسات في ثلاث مجموعات قصصية تصدر بمعرض الكتاب 2018، فكان هذا الكتاب وأخويه.

نتمنى لكم جرعة رعب مميزة..



دار فانتازيون للنشر والتوزيع

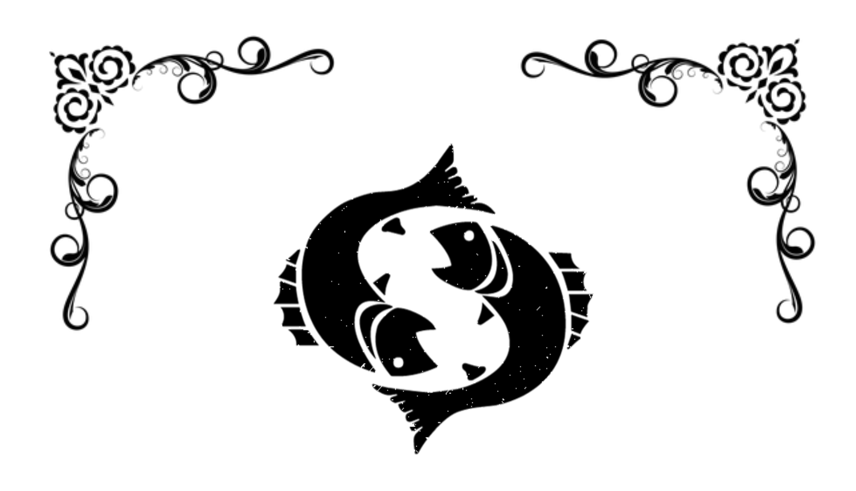




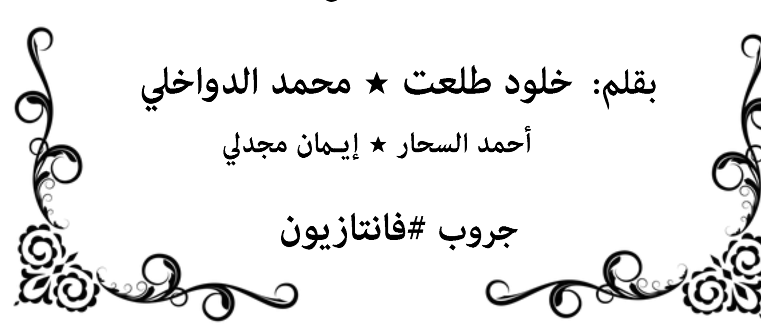








عائلة الحوت



بقلم: خلود طلعت ★ محمد الدواخلي

أحمد السحار ★ إيـمان مجدلي

جروب #فانتازيون

اسمٌ على مسمى، (عائلة الحوت)؛ حيتان حقيقيون في الأسواق، لا يرحمون أي منافس. ثروة ضخمة لم تهتز بالتقلبات السياسية على مدار 100 عام، رغم العداوات التي صنعوها بطغيانهم، وبرفضهم مصاهرة ذوي النفوذ. في الحقيقة لم يتزوج أحد من أبنائهم من خارج العائلة منذ بدأت ثروتهم في التضخم.

..*

سيطر القلق على الجميع، متسائلين عمن تم اختياره. تعلقت الأنظار بالجد (عبد الغني) كبير العائلة، هو من سيحدد المصير وسيحكم بالغنى أو الهلاك.

استمعوا في صبر لقراراته المالية وصفقة الوزارة الضخمة، ثم طأطأ الأزواج الجدد رؤوسهم في انكسار وهو يؤنبهم لعدم إنجاب المزيد من الأبناء؛ هناك معمل خصوبة كامل خاص بالعائلة فلماذا لا يستخدمونه!؟ لو لم يحدث حَملٌ الآن فلن يجدوا من يناسب الموعد بعد 12 عاما. لم يجرؤ أحد على النطق؛ فمن يريد أن ينجب ابنا للذبح!؟

ذكَّرهم في حزم بضريبة هذا النعيم والرغد:

ـ «منذ مئة عام ضحّت جدتي لأجلنا وأنقذتنا من المجاعة. وليستمر النعيم ولا ينقلب حظنا إلى نحس مقيم لابد أن تستمر التضحية. كل 12 عاما علينا أن نضحي بأحد مواليد برج الحوت كي نظل حيتانا. لو رفضنا التضحية فستنكسر التعويذة! لن يصيبنا النحس في أموالنا فقط، بل سيدمرنا وكل أحبائنا!»

اتجهت الأنظار للتوأم المتطابق (كارم) و(كرم): «يا ولدَيّ.. أنتما توأم، والوحيدان البالغان من برج الحوت.. أحدكما سيضحي. اخترت أصغركما.. أنت يا (كرم)!»

نظر له (كرم) في دهشة: «لماذا أنا!؟ لماذا ليس (كارم)!؟ ألسنا توأمًا!؟»

ـ «أنت وُلدتُ بعدَه بـ15 دقيقة.. أنت الأضحية»

لم يفهم لماذا يجب أن يكون أضحيتهم لكي يعيشوا بسلام وأمان وحياة رغدة! منعوه من أن يتزوج من أحب، من أن يكون له أصدقاء خارج الأسرة، من أن يكون له أي قرار بعيد عن شقيقه. لماذا يجب أن يدين لهم بأي شيء!؟

لماذا لم يعترض أحدهم!؟ حتى أخوه! نصفه الآخر! ماذا عن أمه!؟ تفضل ذبح وحرق ابنها على أن تفقد لقب (نجوى هانم)!؟

حسنًا، هم تجاهلوا حقيقةً واحدة! هو وحده من اطّلع على أسرار جدتهم. الكل أهمل مكتبتها العظيمة من بعد أن صنعت تعويذتها. هو الوحيد الذي تعلّم أكثر عن (بيكساس) مصدر ثروتهم، ويعرف أن جشعَه للمزيد من التضحيات بابٌ مفتوحٌ لنجاته!

*

حانت الليلة المشؤومة!

برغم أنه حُبِس في منزلِ العائلة استعدادًا للتضحية، لكنهم منحوه كل ما طلب. وآخر طلبٍ له أن يقضي نصفَ ساعةٍ مع شقيقِه، وأن يمنحوه مخدرًا كي لا يشعر بالألم.

أتت اللحظة العظيمة. اجتمعوا حول النجمة الخماسية التي صنعتها الجدة بدمائِها. وَضعُوا جسد (كرم) في قلبها، بينما جهّزوا نيران القربان.

قاطعهم (كارم) بصرخة مدوية، هتف: «أخي! أخي! أرجوكم ارحموه! لماذا لا نقبلُ الفقرَ ثمنًا لأرواحنا!؟ أخي!»

صرخ الجد بغضب: «أخرجوا هذا الأحمق من هنا! ذِكرُه للفقرِ سيدمّر التعويذة!»

فرّ هاربًا من البيت ومن المدينة. رَكِب سيارته مسرعًا بجنون، وما إن أصبح بعيدًا عنهم حتى توالت ضحكاته الجنونية!

اكتملت أول خطوة من نجاته.

تجهّز الجميع للتضحية، لكن قاطعتْهم مرة أخرى صرخة حادة!

كانت الأم نجوى، صرخت: «هذا (كارم) وليس (كرم)!»

ارتبك الجد، نظر لها مذهولًا: «أتعنين أن (كرم) خدعنا؟ لكن كيف!؟»

نجوى: «أنا أعرف أبنائي! (كارم) لم يقبلِ التضحية، ولم نبلغه بها. لن تكون التعويذة سليمة!»

حاولوا إفاقة (كارم) ليبلغوه بأنه ضحية، بدون جدوى! كان المخدر ثقيلًا كأنما قتله!

ارتبك الجد بشدة، لكنه تمالك نفسه؛ هو الحوتُ الكبيرُ الذي اتخذ مئاتِ القراراتِ الصارمة مهما كانت التضحيات:

ـ «سيموت كارم، وبعدها سنعثر على كرم ونضحي به هو الآخر»

انهارت نجوى صامتة. مرت أمام عينيها مشاهدُ التضحيةِ بأخيها وعمها من قبل، وذكّرت نفسها بصورِ الموتِ والمجاعة التي أنقذتهم منها الجدة!

رفع الجد هاتفه مخاطبا أحدهم. أنزل الهاتف وقال: «سيأتون به في جوال. الأحمق أخذ سيارةً بها جهاز تحديد مواقع ضد السرقة، وابن أخي عوني يعرف مكانه وسيأتي به خلال ساعة»

ترك الهاتف وأمسك بالسكين. يخرقُ العينين أولًا، ثم 16 طعنة بترتيبٍ معين لتكتمل 18 جرحًا بعدد نجوم كوكبة الحوت.

حين نهض تعجب! لم تكن هناك دماء على خنجر التضحية! جسد كارم ساكن كأنما لم يتلقَّ شكةُ إبرة!

فتح فمه ليتساءل، حين انفجرت الدماء!

دلف (عوني) إلى داخل المبنى المهجور متحسسًا مسدسه. الغلام الماكر غدر بتوأمه، لكنه ليس ندًا له. الغدر شيءٌ والذكاء شيءٌ آخر!

الأحمق ترك السيارة في مكان مهجور لا يوجد به مخبأ آخر! سيكون صيدًا سهلًا.

تقدّم حابسًا أنفاسه من مصدر الضوء الوحيد. كانت الغرفة خالية إلا من شعلة نار في وسطها وفراش رث هو المكان الوحيد للاختباء. انحنى شاهرًا مسدسه، ونظر أسفل الفراش صارخًا: «تعال أيها الضحية!»

لم يجد شيئًا، لكنه سمع من فوقه صوتًا غليظًا: «أنت الضحية!»

نظر لأعلى ليجد (كرم) متدليًا من السقف! يقفُ منقلبًا في ثباتٍ كأنه يقف على أرضٍ معكوسة! كانت حوله نجمة خماسية مصنوعة من الدم.

رفع مسدسه بسرعة، لكن (كرم) نطق بالتعويذة أسرع. تضخمتْ شعلةُ النارِ وتحوّل (عوني) لقطعة فحم ضخمة!

نظرَ له (كرم) ببرود، ثم سجد على الأرض وقال: «الضحية الثانية يا (بيكساس)! فتحتُ لك الباب. يمكنكَ التهام ما شئتَ من دماء الحوت!»

***

سالتْ الدماءَ من كلِّ مكانٍ إلا جثة (كارم)! كأنما الطعناتِ كانت في الجدران والأسقف. نزفتْ جدرانِ البيت بينما اختفتْ كلُّ الأنوار. حاول الجدُّ الهرب لكن الأبواب أُوصدتْ جميعًا. ارتفعت الدماء وهو يحاول السباحة وسطها، لكن السائل الأحمر اللزج تصاعد بسرعة مذهلة حتى أغرقَ الجميع!

***

كان العزاءَ ضخمًا يليقُ بمكانة عائلة الحوت. تقدَّم الجميع ليعزي التوأمين، الناجيين الوحيدين من الكارثة العجيبة. وقف (كارم) في مكان الصدارة يتلقى بوجهِ جامدِ عزاء علية القوم فقط. كان منظره مهيبًا، حتى أن أحدًا لم يجرؤ على سؤاله عن الندوبِ التي في وجهه أو ارتدائه لنظارةِ شمسٍ في هذا الليل.

وقف (يسري)، المدير العام لشركات الحوت، مرتبكًا، وهو يقول بخجل للتوأمين: «أعرف أن الوقت غير مناسب، لكن هناك صفقة ضخمة، ونحتاجُ لنحدد من منكما رئيس مجلس الإدارة ليقابل الوزير غدًا»

قال (كرم) بخفوت: «(كارم) هو الرئيس».

خلع (كارم) نظارته لتظهر خلفها جمرتان من النار، ويرد بصوت غليظ: «(بيكساس) لا يهتم بمقابلة الفانين يا أخي!»

★ تمت بحمد الله ★



حسناء البحر

بقلم: إيـمان مجدلـي

جروب #فانتازيون

كانت تظهر له وحده، عيناها الرماديتان كأن البدر يطل من عينيها ، شعرها الأزرق الحريري يسترسل حولها، متمسكةً بحافة الزورق تغني له وحده. تعشقه، ويعشقها، ولطالما أراد الاقتراب منها لينهل من ثغرها قبلة، فتصده وترمي نفسها في الماء فتسبح بسلاسة حوله، ثم تختفي في الظلمة من حيث جاءت.

غرفة صغيرة مظلمة توسطتها دائرة تحيط نجمة خماسية، على أطرافها يتراقص لهيب الشموع، جمجمة غريبة الشكل وكتاب صنعت أوراقه من نوع نادر من الطحالب المجففة. لم تكن عليه أية كتابة أو حروف، بل نقشت رموز وأشكال لا تظهر بسبب لون الورق المسود، إلا عندما شرعها أمام لهيب الشمعة بيديه. أغمض عينيه وتمتم، ينتفض، يقف، يزوم ويردد:

«اهررداءاه إيجيه انزيم بإل زابول

شملوطيش البحري عطاطش اسفاد حيقلوم

أقسمت عليكم بحق برطيش بن سدعاد بن مينا وهاروط القسيوط وعرفة المفداد الحوتي

أن تأتوني الساعة الساعة الوحا العجل

تعلموني ما لم أعلم وتملكوني ما لم أملك

وتسخروا لي ما أستسخر»

كان البدر مكتملًا، ينعكس مرتجفًا على صفحة المحيط. زورق صيد ينطلق سعياَ من أجل صيد حيتان الأوركا التي عادةً ما تظهر في هذا الوقت، كانا صيادين قديمين لطالما عملا معًا، ومنذ سنوات طويلة. أخرج (شهاب) الشباك مستبشراَ بعدد السمك الكثير الذي وقع فيها، عندما لاحظ زعنفة كبيرة تنتفض بشدة،

ليحاول إخراجها. واقترب (سمير) ليلقي نظرة هو الآخر، إذ بهما يريان ما لم يتوقعا رؤيته يومًا، ولا في أجمل أحلامهما؛ حورية بحر آسرة في الجمال، شعرها ينساب أزرق كشلال من حرير، وعينين في لون القمر. لم يصدق (شهاب) ما رأى، لكنه تقدم منها ليخلصها ويحاول تهدئتها، قدم لها الماء وكلمها، لكنها أبت أن تنطق مرتجفة في خوف وحذر شديد. أعرب (سمير) عن طمعه في بيع هذا الكنز بأعلى سعر، وأعرب عن رغبته في تقييدها وإيذائها حتى تعترف بمكان غيرها. وعندما هم بتقييدها منعه (شهاب) بقوة؛ لأنه يرفض إيذاءها؛ ربما لأن جمالها قد أسر قلبه الشاب. وفي خضم شجارهما العنيف، ولأنه علم أن صديقه سيؤذيها، حملها عاليًا ورما بها خارج الزورق، صارخًا: «اهربي!»، وقبل أن يلتفت، عاجله (سمير) بطعنة من رمحه، لتخترق ظهره، وتخرج من الجهة الأخرى ليخر صريعًا. يقترب (سمير) ليجذب الرمح من جثة صديقه، وهو يرمقه بنظرات حاقدة. فجأة قام (شهاب) من النوم فزعًا ممسكًا مكان الجرح، غير مصدق أنه كان حلمًا فقط، لكنه بدا حقيقيًا أبعد ما يكون.

***

عاد مترنحًا كعادته من الحانة، يتخبط في مشيه، ويتراجع أكثر من مرة، يدندن لحنًا سمعه من إحدى الراقصات. استوقفه صاحبه الذي كان أشد ثمالة ليحاول تحديد بيته فلا يستطيع، ليرمي القنينة من يده، وينفجر في ضحك هستيري أيقظ الساكنين

- «يخيل إليّ أننا تهنا»

رفع (سمير) رأسه ينظر بين المباني، ثم يتجرع آخر نقطة في قنينته، ويرميها هو الآخر ليقول: «إما أن هذا ليس حيّنا، أو أن الساقي غشنا»، ليضحكا مجددًا، حتى يستفرغ (سمير) خلف باب بناية، وعندما مسح فمه بكم معصمه أحس بشيء حاد يخترق خاصرته، وكف صديقه الأخرى تحاوطه. نظر في عيني (شهاب) الذي عاجله بطعنة أخرى أشد، تعلو ثغره ابتسامة جشعة ليقول له: «هذه بتلك»، ليستفيق (سمير) فزعًا من حلمه، لاهثًا بشدة، راميًا بالوسادة بعيدًا.

ـ «ما هذه الكوابيس التي أراها!؟ وما هذه التي بتلك!؟ ما هذه اللعنة التي تحيطني!؟»

قام من فراشه بضع خطوات، ليتجمد فجأة، وهو يشعر بكفين خفيتين تحيطان عنقه لتخنقه، ظل يتخبط للحظات حتى أطلقه ذلك الظل الذي ما فتئ أن تكَشَّفَ عن صديقه القديم (شهاب) الذي مات قبل سنة في حادثة هجوم لحيتان الأوركا أمام عينيه.

..*

لقد تغير حال صديقه (شهاب) كثيراً منذ آخر مرة رحل فيها وحده للصيد، صار يقضي النهار وحده، ويرغب الصيد وحده، يحمل الكثير من الشباك والطعوم ولا يأخذ حرابًا للصيد، أخبرته أن «صيد الأوركا خطير ليلًا، وأنت وحدك، فما بالك بالذهاب من دون حراب وخطاف!».

ـ «لا تقلق، لن أتأخر هذه المرة»، كانت هذه نفس إجابته قبل كل مرة يخرج فيها ليقضي الليل بطوله وحيدًا في عرض المحيط.

ولطالما شككتُ أن (شهاب) يخفي سرَا ما عني أنا صديقه الوحيد، لكنها كانت المرة الأخيرة، عندما عثر الصيادون على قاربه فارغًا، ثم عُثر على جثته تطفو بعد ثلاثة أيام بالقرب من الخلجان، متفسخة ومنتفخة تكاد تنفجر. عندما جذبوها إلى الشاطئ أذكر جيدًا أنني أخرجت الكثير من الأعشاب البحرية من فمه وأنفه، وعندما تحرك ظننته مازال حيَا، وبدأت في هزه والضغط على صدره علَّ الماء يخرج من رئتيه، لأفاجأ بجوفه ينفجر في وجهي ويتناثر في كل مكان مع الكثير من القشريات البحرية داخله، ثم فجأة إذ بسمكة حنكليس تباغتني؛ كانت تصنع من بطنه بيتًا! لقد مات صديقي بكل تأكيد.

..*

كان يغرق، ويغرق، والدم يلون الماء حوله. يدٌ تجذبه لأسفل، ورئتاه تكادان تنفجران، وإذ بحوت أوركا ينقض عليه ليفترسه من منتصف بطنه فيقطعه إلى

نصفين. وعندها يستيقظ من النوم صارخًا في هلع! تكرر هذا الحلم اللعين كثيراَ منذ حادثة غرق صديقه. قام ليحلق ذقنه النامية منذ أيام، يحمل الموس ويبدأ في سلخ اللحم عن ساعده بحركة آلية ونظرات زائغة. يستفيق بعد دقيقة على نافورة الدم، ولكن ما من ألم!

ـ «ما الذي يحصل لي!؟"»

..*.*

بعد يوم شاق من العمل يستعد ليلتهم عشاءه، لكنه يفاجأ بالمذاق الغريب الطري أسفل أسنانه، لينظر في الشطيرة، ويرى طحالب وزواحف بحرية تخرج منها، فيرميها ويقذف بما في فمه. يلتفت، ويفرغ ما في جوفه أيضًا.

ـ «ما الذي يحصل!؟ اللعنة عليك يا (شهاب)! ماذا علي أن أفعل لترتاح في قبرك وتتركني!؟»

أراد أن يفتش في أغراض صديقه الراحل؛ عله يجد شيئًا يساعده على فك لغزه، لم يجد غير الأعشاب البحرية المجففة في كل مكان وبعض الرسومات البدائية على الحائط بالطبشور وقد مُسِح أكثرها.

..*.*

صار نحيلًا جدًا من قلة الطعام وندرة النوم، ينتفض فجأة كأن شيئًا يلسعه، ليشمر عن قميصه، ويفاجأ بلسعات شديدة في جذعه كأنها لسعات قنديل بحر. كان على شفير الانهيار العصبي، عندما قابله جاره الجديد أمام الباب.

ـ «إن حالتك سيئة جدًا يا رجل.. هلم وادخل إلى بيتي أعتني بك»، قالها الجار، ليجيبه (سمير) بالرفض، معللًا أن لديه بعض الأشغال، لكن الرجل يلح عليه ليستضيفه هذا المساء فقط: «ثم إنك بحاجة للراحة، وحساء ساخن تعده لك شقيقتي سيرين»، قالها الجار الطيب، وهو ينادي شقيقته.

جميلة هي كالخيال، أسرته عيناها الشبيهتان بصفاء القمر، والشعر الحريري المشدود خلفها. أحضرت له صحنًا من الحساء الساخن، ورغيفًا من صنعها، فكان ذلك أشهى طعام تذوقه منذ شهر، منذ تلك الحادثة التي تلاحقه. أخبره عما يواجهه من أمور غريبة، وعن حالة صديقه التي وُجِدت عليها جثته وكل شيء، وللصدفة فقد كان جاره ملمًا بالأمور غير الفيزيائية، وبعد معاينته لشقة (شهاب) قال: «يبدو أن رفيقك الراحل كان يمارس سحرًا قديمًا عُرف في هذه البقاع، ولكنه اندثر. كيف توصل إليه!؟ هذا سحر عرف قديمًا بين البحارة والصيادين ليأمنوا به شر الحوريات، أو لنقل لكي تساعدنهم وتباركن صيدهم، فلا تقطعن شباكهم، أو تلقين عليهم تعاويذهن».

استغرب (سمير)؛ حيث أنه لم يسمع صديقه يتكلم عن الأمر يومًا، وهو الذي قضى معه جل حياته تقريبًا!

ـ «هل تظن أن السحر هو سبب ما حصل لـ(شهاب)!؟ وماعلاقتي أنا!؟»

أجابه: «لابد من وريث لهذا النوع من السحر. أنت الأقرب لصديقك، ولقد أورثك لعنته، وأظنه قد ورثها عن غيره أيضًا ربما»

صاح (سمير): «أرثها! وما دخلي أنا؟ أنا أرفض هذا الأمر برمته ولن أقبله!»، أجابه الرجل: «لكن يبدو أنه هو من يقبلك، وقد اختارك بالفعل. هذا هو سبب ما يحصل لك مؤخرًا»

في توتر صاح (سمير): «ما العمل الآن؟ كيف أتخلص من هذه المصيدة؟»

أجابه: «سنحاول أن نجد حلًا فلا تقلق. سندرس هذه المخطوطات لنجد وسيلة للتواصل مع الحوريات، أو فلنقل هذه الشياطين»

*

سريعًا صار يألف زيارة جاره وشقيقته الحسناء، وصار يتحسن، وصاروا يعملون سويًا في غرفة صديقه (شهاب) نفس الطقوس التي تعلموها من الكتاب تحت إشراف جاره الحكيم، وصاروا يقتربون شيئًا فشيئًا من حل لغز موت (شهاب).

الغرفة المظلمة، والدائرة التي تحوي النجمة، والشموع المشتعلة على أطرافها الخمسة، والكتاب في يد (سمير) يقرأ طلاسم لا يعيها، ولا يعي ما يحصل معه أثناء قراءتها، لكنه نفس الذي كان يحصل مع صديقه بالقطع.

*

مع الوقت لاحظ جاره الألفة التي حصلت بين شقيقته و(سمير)، والتي كان ظاهرًا أنها لا تحاول إخفاءها، ما شجع (سمير) على طلب يدها، وهي وافقت بدورها، وصارا مخطوبين بشكل رسمي، وتكرر لقاؤهما معًا خارجًا، حتى أنها طلبت منه يومًا أن يأخذها هي وشقيقها في رحلة معه على زورقه، ليكملوا بقية الطقوس كما فعل صديقه، وهو لم يرفض طبعًا. وفي عرض المحيط، كانت تظهر حيتان الأوركا من حين لآخر وتختفي. قفز شقيقها في المحيط ليسبح قريبًا. بينما جلس العاشقان يتأملان المنظر الحالم، قالت: «هل تعلم أنني أعشق المحيط؟ لقد ولدت هنا، وترعرعت هنا»، أجابها (سمير): «ظننتكما غريبان عن المكان؛ فلم أركما سابقًا»، ابتسمت، ونظرت بعيدًا تلتمع عيناها عاكستين ضوء القمر الشاعري، ثم أسدلت شعرها كسبائك من الحرير، وقالت: «بلى؛ كنت هنا دائمًا، وكنت أراقب زورقك أنت وصديقك». سريعًا ظهر شبح ابتسامة جانبية، أظهرت صفًا من الأسنان الحادة سائلة: «هل تؤمن بالحوريات يا سمير؟»، ظل (سمير) صامتًا غير أنه أمسك بالمجذاف بكلتا يديه في حذر، فإذ بشقيقها يباغته من ورائه، يقفز من تحت الماء ليجذبه معه، فيسقط عن الزورق إلى عرض البحر. وعندما عاد (سمير) إلى سطح الماء التقت عيناه بعيني خطيبته، تقف على حافة الزورق كأنها تستعد لتقفز، لكنها توقفت هناك واضعةً كفيها على وسطها تراقبه بعينين لامعتين بشكل مخيف. صاح في ذعر: «من أنتم!؟ وماذا تريدون مني!؟»، ضحكت هي وقالت: «ستعرف قريبًا»، لتقفز متوجهة إليه، فتمسكه وتجذبه معها عميقًا عميقًا، حتى ضاق نفسه، وكاد صدره لينفجر، قبل أن تخرج به إلى السطح، لكن هذه المرة كان في خليج مرجاني داخل كهف مظلم لا يضيئه غير بعض أحجاره التي تعكس نور القمر.

صاح: «أين تأخذينني!؟ ماذا تريدين مني!؟»

قالت وهي بعد تسبح قريبًا منه: «ألست تحب أن ترى حوريات البحر يا سمير؟ ها أنت ذا معي في عقر داري مع أشقائي وشقيقاتي».

وإذ به يجد نفسه محاطًا بالعشرات من الحوريات، كاد يموت رعبًا عندما رأى صديقه واقفًا على إحدى الصخور ضامًا ذراعيه أمام صدره.

(سمير) في دهشة: «أنت... أنت حي يا شهاب!!»

ضحك (شهاب) ليردد: «حي! نعم، والفضل لحبيبتي وزوجتي، خطيبتك أيها الغر»، خرجت الفاتنة من الماء، كاشفة عن زعنفة تتلألأ فلوسها لدقائق، قبل أن تجف فتتحول رويدًا، ويصير لها أقدام بيضاء كالعاج، كما هو لون بشرتها الصافية، لتقف قريبًا من حبيبها (شهاب)، قائلة: «أحضرناك هنا لأن صديقك (شهاب) بحاجة لك»

صاح (سمير): «إن صديقي قد مات، وقد رأيت جثته بعيني!»

أجابه (شهاب): «تلك كانت جثتي فقط؛ فلم أعد بحاجة لها؛ لأنني قايضتها بجسد الحور هذا، لكنه يبلى سريعًا مع الأسف، ومازلتُ بحاجة لتضحية أخرى. وكما ضحيتُ بأغلى شيء أملكه، علي أن أضحي بأغلى إنسان بالنسبة لي. أنت هو أعز أصدقائي يا سمير، فعليك أن تكون ممتنًا كوني اخترتك لتكون الأقرب لي، وتهبني حياتك»

صاح (سمير)، وهو بعد يتخبط في الماء كأنه ملدوغ: «كلا! اللعنة عليك! دعني أرحل! دعني أذهب! كلا! كلا!»، ابتسم (شهاب)، وكشَّر عن صفين من الأنياب الصغيرة الحادة، لينقض على صديقه في الماء يغوص به بعيدًا ويلتهمه.

***

أهدته تلك الليلة كتابًا غريبًا أسود، أخبرته أنه عليه اتباعه إن أراد حقًا وصالها، وهو كان حقًا يريد.

- «ما هذا الكتاب يا حبيبتي؟»

- «إنه الطريق إلى عالمي. لتفهمنا وتؤمن بنا عليك أن تتبعنا وتصبح مثلنا»

- «أفعل أي شيء لأكون إلى جانبك أيتها الفاتنة (سيرينا)»

✯ تمت بحمد الله ✯



العزيف

بقلم: أميرة العربي

جروب #مشاعر_غالية

نيران ولهيب تنال من النواصي والأقدام، صرخات وتحشرج في الأصوات، أنفاس متلاحقة، يتبعها سماعٌ لصوت النبضات، أعضاء متناثرة في كل مكان.

..*

أعرّفكم بنفسي.. أنا (محمد عبد الله)، أعمل بالعديد من المجالات، أبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا.. هذا أنا المهدي المنتظر.. نعم، ولم التعجب!؟ ألم يقولوا أن اسمه (محمد عبد الله)، كاسم نبي الإسلام!؟ لا أخفي عليكم سرًا، فأنا لا أؤمن بالديانات، يقولون أني ملحد، ولكنني مقتنع بأنني أسير مع ما أجد فيه الصالح لي. يقولون أنني من برج الحوت الذي يبحث عن الحزن أينما كان، الفضول يقتلني كثيرًا، كثير الاستفسار عما لا يعنيني؛ فقط لأثبت أنني على حق. يقال أن الحوت يمتاز بالطيبة والمشاعر الجياشة، ولكنهم لم يذكروا أنه عنيد، وحينما يغضب يتحول إلى نيران وجحيم. عاشرت البشر، وأدركت أن ليس فيهم ما ينفعني؛ فهم يزيدون الحزن والعذاب. الآن صالحي مع هؤلاء الخارقين من مردة الشياطين، والجان، يحملونني على أكف الراحة؛ كلما زاد كفري زادوا في تلبية جميع طلباتي. وها أنا في قريتي يظنون أنني ولي، أمتلك من الكرامات ما لم يحط به علم أحدهم. سأروي لكم بدايتي، ولتحكموا أنتم.. من أنا!

منذ خمسة أعوام أو يزيد، هاجرت من بلادي إلى بلاد المغرب. كان عملي بادئ الأمر في التنقيب، حين وجدتُ تلك المخطوطة الملعونة، التي جعلتني أقتل ذلك المشعوذ، بعدما دلني على ما بها من أسرار.

ينظر إليّ بأعين كلها مكر واستنكار قائلًا:

ـ «لن أتكلم قبل أن تعطيني عهدًا بأن يكون لي نصف ما تجد بتلك المخطوطة»

عاهدته ولم أبال؛ فهذا المشعوذ أمين؛ فغيره سيغير الحقائق، ويحتفظ بالسر الدفين لنفسه.

ـ «أعاهدك ولكن تعاهدني ألا تخفي عني شيئًا»

ـ «فليكن، أعطني إياها»

حينما أمسك بها، لم يكن بمقدوره أن يخفي مدى رعبه ودهشته، مع جحوظ عينيه، ولعابه الذي سال، علمت أن الأمر هام وخطير. نظر إلي بعد برهة من الوقت، وأنا ذو البال الطويل يسألني، وكأنني خبير:

ـ «أتعلم شيئًا عن العزيف!؟»

لم يكن ردي سوى إيماءة بأن (لا).

تابع حديثه مُوضّحًا أن المخطوطة عبارة عن خريطة، تُوضّح مكان النسخة الأصلية، من كتاب السحر الأعظم المسمى بـ(العزيف). تساءلت ببساطة:

ـ «وماذا بهذا الكتاب، ليكون كتاب السحر الأعظم كما تقولون؟»

أجاب بإسهاب:

ـ «يا بني إن أمر هذا الكتاب به العجب العُجاب...»

اعتدل بجلسته، وكلماته أخذت منحنى أكثر اهتمامًا، أخفض من صوته قليلًا، وهو يحدثني عن المعجزات بكتاب الموتى:

ـ «يقال أن الكتابة الأصلية كانت باللغة السومرية، أتعلم؟ فقدرة هذا الكتاب تعادل السفر إلى الماضي، ومعرفة الغيبيات. يقال أن الكاتب كان يمني الأصل، وسكن الربع الخالي من الصحراء، والذي كان به ذلك البئر الملعون المسمى (برهوت). يقال أن به ممالك من الجان والمردة والشياطين العظام، فقد تعلم منهم العديد من اللغات، وكيفية فك طلاسم مخطوطات بلاد الرافدين...»

ـ «لماذا سُمّي بكتاب الموتى!؟»

زادت نبضاته، مع ازدياد همسه، يتعرق، يرتشف بضع رشفات من كوب الماء.
ـ «من يملكه تكن له القدرة على إحياء الموتى، ويتحكم بممالك عديدة من ممالك الجان»

أشعر بغبائي كلما نطق ذلك المشعوذ.. زاد تعجبي وشغفي، أريد معرفة مكان ذلك الكتاب، وما إن نطق المشعوذ بالمكان، حتى ظهر لي ما لم يكن بالحسبان، اقشعر جسدي وانتفض، تساقطتْ حبات العرق، رأيت خلف المشعوذ كائنًا غريب الشكل، ذا شعرٍ كثيفٍ، وملامح مرعبةٍ، ثم اختفى فجأة. حاولت أن أنطق، لكنه أشار لي أن أصمت!

خرجتُ مع المشعوذ في ظلام الليل إلى مكان ما بين مدينتَي (السمارة) و(بوجدور)، صحراء جرداء، وصلنا إلى مكان ما نطق بطلاسم مكتوبة بتلك المخطوطة، لم يظهر شيء، ولكن بعد إصرار من المشعوذ، احترقت المخطوطة بين يديه، ليصدر منها سهم من نار لفوهة ما في تلك الصحراء، وكأنها بئر من نار. كاد المشعوذ يطير فرحًا، ولكنني كنت مستاء؛ فذلك الكائن الذي يظهر خلفه يزداد حجمه كلما اقتربنا. لم يكن بمقدوري الكلام، كأن أحدهم يسوقني إلى الهلاك، هناك عند بئر النار خارت قواي، ارتعدت مفاصلي، وجدت المشعوذ ينهال عليّ بمطرقةٍ من نحاس، كان يخبئها بين ملابسه، وهو يقول:

ـ «لن يُفتح العزيف إلا بإراقة الدماااء!»

وهنا توقف الزمن؛ فلم تكن دمائي، بل كانت دماءه؛ فقد ساعدني ذلك الكائن الغريب. وقع المشعوذ على وجهه، وهو يجره ليرسم على الرمال بدمائه أشكالًا وطلاسم. تجمدت الدماء بعروقي، جلست مكاني بلا حراك، أمرني أن أقطع ذلك الجثمان، ترددت حينما وجدت به الروح مازالت تنبض، لكن الأمر بالنسبة لي كان حياةً أو موت! تفنّنتُ في تمزيق أحشائه، وكلما ألقيتُ جزءاَ بالنيران، كلما زادت قوتي، وللنيرانِ احتملت. لكن شيئًا ما كان غريبَا؛ لم يكن سوى صاعقة من سهم من نار، قد أصابتني وفقدت الوعي.

****

مازلت بفراشي، يملؤني التعجب، أتساءل: «أكان حلمًا!؟»، أحاول استيعاب ما حدث.

ذهبت إلى العمل كالمعتاد، ولكن اليوم كان مختلفا عن ذي قبل. أسير بين الناس، أرى ما لم يره بشر، أسمع أحاديث عن لعنات حلّت على قرى بالصحراء. دخلتُ لتبديل ملابسي، نظرت بالمرآة، لم يكن بهيئتي جديد، إلا ذلك الخيال الذي مر من خلفي كلمح البصر. نظرتُ خلفي لأراه، فلم أجد أحدًا. لأول مرة بحياتي أشعر بالرعب، تكررت تلك الومضات السوداء كلما نظرت بالمرآة. يرتفع الأدرينالين، يرتجف قلبي، أخاف أن أعيد الكَرّة، أهرب بين الناس، لكن هيهات؛ فالومضات تزداد! وجوه مرعبة! تحدثتُ مع صديقي فنصحني بالقرآن، كيف وأنا كافر بكل ما أنزل من السماء!؟ يجثم على صدري كائن لا أعلم ملامحه، فقط أشعر به وبعجزي عن الحركة، آثار كدمات تملأ جسدي، أنظر في زاويةِ بغرفتي، لأجد كائنًا أشعثَ يرقد القرفصاء، ينظر إلي بعين يملؤها العتاب. نعم هذا هو الكائن الذي رأيته بالحلمِ منذ أيام. حاولتُ أن أتحدث، لكن عجزت عن الكلام! ينالون مني، أراهم أحياءَ أمواتًا، أستمع لهمهماتهم ليلًا، وكأنني منهم. ذهبت إلى مكان المشعوذ الذي رأيته بالمنام، فنظر إليّ تلك النظرة الخبيثة، وهو يرفع أحد حاجبيه ويتمتم:

ـ «لماذا تأخرت!؟ فلم تكتمل الطقوس بعد؟ فقد وقع الاختيار عليك من بين جموع الناس»

صعقتني كلماته؛ فلم يكن حلمًا! وكيف وهو مازال على قيد الحياة!؟ نظرت وتلعثمت كلماتي، ضاعت أحرفي بين الواقع والخيال، أتساءل: «ثم ماذا!؟»

يضحك لتظهر أنياب من خلف شفتيه، تراجعتُ للخلف لأسقط بين أحضان مالم يكن بالحسبان، غول من النيران! لم تحرقني، لكنني شعرت بما لم يشعر به إنسان، أختنق، أغمض عينيي، يلتف حولي الأشباح، يتنازعون في تمزيقي، لكنهم لا يعلمون أنني بكفري يلازمني الشيطان، وإن يكن فأنا فتنةٌ لبني الإنسان، أخطو أولى خطواتي ببئر النار، لتنفجر قشرتي الخارجية، وتتحول لما لم أكن أعلم ماهيته. أتحسس رأسي، أهذه قرون؟ ذيل بمؤخرتي، كتاب الموتى بين يدي، أفتحه وأقوم بفك الطلاسم، لكن هناك شيء ما لم يكتمل في الطقوس بعد.

أتحول من هيئتي لأي هيئة أريد، خرجتُ وأنا كائن جديد يخدمني خادم مقهور من مشعوذ كان عنيدًا. أجوب البلاد، أزيد فيها الفتن، وأضل العباد. ذهبت إلى قريتي فكنتُ المهدي ذا الدلالات، أقتل هذا وأحيي الآخر، أعيث في الأرض فسادًا. هذا أنا، فمن أكون!؟ ومن يمتلك مثل قوتي بهذا الكون!؟

فقط أنا المهدي المنتظر، وبعضهم يقول أنني أنا المسيح الدجال. أكتب رسالتي من قلب الجحيم، أنتظر الخروج بهيئتي.

💀*💀*💀*💀

ينظر الطبيب، ويتهيأ لإعطاء مريضه المهدئ كي ينام، وهو يشير للطلاب مِن حوله:

ـ «هذه إحدى حالات البارانويا لغريبي الأطوار، وبعض الهلاوس؛ فقد وجدناه بالصحراء يهذي، لابد أن أحدهم قام بتعذيبه. كان على جسده العديد من الطلاسم والرسوم الغريبة، حتى الآن لا نستطيع أن نسيطر على حالته» الدهشة والذعر يملآن المكان؛ فقد زاد الدخان بالغرفة، ليرتفع من على مخدعه، وصوت أجش تهتز له الأرجاء:

ـ «ولتكتمل الطقوس أيها الهالكون!»

★ تمت بحمد الله ★



بحيرة الحوت

بقلم: هبة النجار ⋆ إسـلام علي

جروب #فانتازيون

ارتعد سطح البحيرة الهادئ باصطدام ثقل السنارة به، ليغطس ببطء تاركًا عوامته تتمايل على السطح.

راقب (بدر) تمايل العوامة الهادئ كأنها تستمتع بالطفو، مستمتعا بسكون المشهد، والهلال يضيء صفحة الماء بضوء فضي ساحر.

تنهد يملأ رئتيه برائحة البحيرة الجذابة ويزفر ما عداها، ومال برأسه إلى الخلف يطالع الهلال حالمًا، ثم تنبه لتلك النقاط اللامعة بجوار هلاله، فأشار إليها وقال:

ـ «هذه النجوم لامعة جدًا!»

رفع رفيقه عينيه من حقيبة الصيد إلى حيث يشير، وقال يتباهى بعلمه:

«هذه كوكبة الحوت»

ـ «كوكبة الحوت!؟»

ـ «نعم.. أتعرف أبراج حظك اليوم؟؟ كل برج منها يمثل كوكبة سماوية من النجوم، وهذه هي كوكبة الحوت»

قال دون أن يُنزل عينيه عن النجوم:

ـ «الحوت!؟ هذا غريب! لا تبدو لي أشبه بحوت من أي اتجاه»

هز رفيقه رأسه مستتفهًا وأفاد:

ـ «ولا أي كوكبة تشبه أي حيوان.. إنهم يخترعون خيالاتهم الخاصة.... أنا مثلا أرى كوكبة الحوت أشبه بالسنارة»

دقق (بدر) نظراته الهائمة في النجوم أكثر، ثم قال:

ـ «نعم إنها سنارة فعلًا.. ربما لهذا ربطوها بالحوت!»

سحب رفيقه دودة كبيرة من كيسِ الطُعم، وغمغم محاولًا إنهاء العبث:

ـ «ربما»

وجذب خيطَ سنارته يسحب الخطاف الصغير إلى يده.

ـ «لكن ما هذه الدائرة في خطاف سنارة النجوم برأيك؟»

غرس رأس الدودة بعصبية في سن خطافه، وقال بنفاذ صبر:

ـ «لا أعرف يا (بدر)! ربما دودة!»

وسارع يلقي بخطافه في الماء كأنه بذلك يُخرسه، يسب نفسه سرًا على دعوة ذلك الطفل الكبير للصيد معه.

ثوان من صمتٍ مرت وكلٌ منهما ثابتٌ على وضعيته، لكن الصمت لم يَطُلْ.

ـ «لا يا (سامي)، هي أكبر من أن تكون دودة!»

كاد (سامي) ينفجر فيه، لولا أن ارتعش خيط سنارته ارتعاشة يدركها جيدًا. ارتكز في الوضعية المثلى على كرسيه، وبدأ رحلة متعته الكبرى.

«لا تُسَمِّه صيدًا حتى تنازعَ سمكةً كبيرة»

ودّ لو يخبر زميله بقوله الأثير هذا، بيد أن (بدر) كان مستمرًا في تيهه بالنجوم مرددًا:

ـ «إنهاا.... إنهاا....»

كان نزاع (سامي) مع السمكة أشد من كل ما كخبره سابقًا، لكنه عاند فيها ذهابًا وإيابًا مترقبًا لحظته الحاسمة.

ـ «إنهاا.... إنهاا....»

الخيط يدور بسرعة جنونية صانعًا عشرات التموجات على سطح الماء.

صرخ (سامي) من بين أسنانه: «هيااا! هيااا!!»

نقل (بدر) نظره فجأة من النجوم إلى انعكاسها على صفحة الماء، وقد أرعشت التموجات شكلَ الحلقة في آخر الكوكبة، فهتف:

«سمكة!!»

لحظتها جذب (سامي) الخيط باحترافية، لتندفع خارج الماء سمكةٌ كبيرة كانت من الثقل ما أُضطر (سامي) للقفز بشبكة صغيرة يلتقطها بها في الهواء، قبل أن يسقطِ بها في الماء بطرطشة عالية.

راقب (بدر) رفيقه يخرج من الماء بصعوبة مركزًا على عدم إفلات السمكة الضخمة، و التي لم تتوقف عن التلوي بقوة. أخيراً رماها بشبكتها داخل وعاء معد مسبقًا، وقام بتثبيت أطراف الشبكة بشكل احترافي داخله، ثم استلقى على ظهره أرضًا يضحك باستمتاع جم، وهتف:

- « هذه سمكة عظيمة لا تحصل عليها أبدًا بسنارة من النجوم أيها الأحمق!»

وواصل الضحك غير عابئ بنظرات (بدر) الجامدة، والتي تحولت إلى السمكة تراقبها في وجوم، مرددًا وراءه بغمغمة:

«سنارة النجوم!»

انقلبت سحنة (سامي)، وقد ساوره الانزعاج الشديد من (بدر)، وظن أن الخبال قد أصابه، إلا أنه عاد ليهز كتفيه غير مبالٍ، ويقنع نفسه بأن مراقبة (بدر) للسمكة ستسمح له هو بمواصلة الصيد؛ فالليل مازال طويلًا على الاسكتفاء ولو بسمكة ضخمة كهذه.

اعتدل جالسًا، وعاد إلى حقيبة الصيد يتجهز لجولة جديدة. انتقى دودة جديدة، وسحب خيط السنارة إليه، فكانت دهشته أن وجد الدودة الأولى كما هي مغروسة في رأس الخطاف وكأن السمكة الضخمة لم تمسها. ضحك للمفارقة وأعاد الثانية إلى الكيس، واستعد لإلقاء الخطاف في الماء، إلا أن (بدر) تكلم في تلك اللحظة:

- «السمكة.. تحاول إجباري بشيء!»

استدار (سامي) نحوه مستعدًا لكيل الشتائم، فأفزعه وجه بدر الجامد وقد كسته الظلال فأظلمته، إلا من عينيه المضيئتين بنور القمر المنعكس عليهما.

أشار (بدر) إلى السمكة وقال بجمود:

ـ «تفتح فمها وتغلقه كأنها تتكلم.. لكني لا أسمع صوتًا!»

وضع (سامي) يده على قلبه يكتم فزعته، وقال بعصبية:

ـ «إنها تحاول التنفس أيها الجاهل!»

(بدر) دون أن تتحرك ملامحه: «ولكن ألا يتنفس السمك بالخياشيم!؟»

ـ «فقط تحت الماء.. على اليابسة لا تجد ماءَ فتحاول التنفس من فمها»

ـ «تتسول الأنفاس!»

ـ «ماذا!؟»

التفت وجه (بدر) ناحيته ببطء مخيف، وقال بجمود:

«إنها تتسول الأنفاس!! تنازع للبقاء حية!! تتعذب!! تموت ببطء!!»

أغرب (سامي) وجهه بسرعة، وقال قابضًا على رباطة جأشه:

«عد إلى بيتك يا (بدر)! اتركني! كنتُ بحالِ أفضل دون خرافات عقلك حديث الولادة!»

ـ «إنـهـا تــحــذرك.. مــن الــحــوت!»

عاد يلتفت إلى (بدر) برعب، وقد خرجت كلماته هذه المرة بصوت كالفحيح، فوجده يبادله النظرات وقد اشتد إظلام وجهه وإضاءة عينيه، يفتح فمه ويغلقه بتكرار مخيف. حينها بدأت مياه البحيرة تعلو وتتموج مُصدرةً خريراً غريباً، نقّل (سامي) نظراته بين رفيقه والبحيرة في رعب، وامتدت يده إلى حقيبه صيده تبحث عن سكين الطوارئ، حين سدد (بدر) إصبعًا في وجهه وقال بذات الصوت الرهيب:

ـ «وأنـت مـَعلـّق مـن شـدقـك عـلـى أعـلـى فـرعٍ فـي الـشـجـرة!»

أدرك (سامي) سكينه، فتراجع برعب ليلتصق بجذع شجرة كبير من خلفه، وصرخ في (بدر):

«بماذا تهذي أنت!!؟»

رفع (بدر) إصبعه مشيراً لأعلى وقال:

«أنــت هــنــاك.... بالأعــلــى!»

يرفع سامي نظره إلى حيث يشير، فيرى أعلى فرع للشجرة الكبيرة، بارزًا إلى خارجها بطرف معقوص مسنون.

ـ «هــذه فــرصــتــك الأخــيــرة!»

يلتفت إلى (بدر) بهلع، فلا يقابله سوى الظلام!

تلفت فيما حوله وقد شارف به الهلع على الجنون، فاصطدم ناظريه بوجه السمكة الكبيرة؛ عيناها الجامدتان مضيئتان تحدقان به، وفمها يُفتح ويُغلق بحركة بطيئة متواصلة.

اندفع يلملم حاجياته في حقيبة الصيد بهلع، تاركًا كنزه الثمين لا يبغي منه سوى الهرب. وإذا بالأرض ترتج فجأة، ثم يتفجر سطح البحيرة بنافورة مياه بلغت حد السماء.

سقط (سامي) أرضًا من الرجة والرعب معًا. حاول الزحف مبتعدًا برعب فرأى عيني السمكة المضيئتين في عينيه. ألجمه الارتياع وجمده في مكانه، يراقب نور عينيها يخفت، وتتباطأ حركة شفتيها نحو السكون. وحين انطفأ ضوء عينيها تمامًا، ساد الظلام كل ما حوله.

انتفض (سامي) واقفًا، ورفع نظره إلى السماء يستجديها النور بهلع، فرَاعَه اختفاء الهلال منها، مع اشتداد لمعان كوكبة الحوت بالمقابل، لا يضيء سوى سطح البحيرة، كاشفًا عن ظل هائل من تحته!

قبض (سامي) على كتفيه يرتجف ويردد لنفسه:

«لاا! هذا وهم! هذا حلم! لا يمكن أن يوجد حوت في بحيرة صغيرة!!»

وأدرك في تلك اللحظة فقط أنه لم يعرف أحدًا في حياته باسم (بدر)!! فكرّر مستنجدًا بالوهم:

«نعم! هذا حلم! هذا حلم بالتأكيد!»

ارتجّت الأرض مرة أخرى بارتجاجة أعنف وأشد، فسقط (سامي) أرضًا من جديد، وسقطت السمكة في حجره جامدة العينين، بينما تفجرت سلسلة نوافير ماء عظيمة من البحيرة أمامه.

حدق في عيني السمكة الجامدتين، وعادت إلى أذنيه تحذيرات (بدر) فجأة، فأمسك بالسمكة وحررها من الشبكة، ثم سارع بإلقائها في البحيرة.

غطست السمكة الكبيرة في البحيرة لثوان، لكنها عادت لتطفو على سطحها جثة هامدة.

هاجت البحيرة وارتفع سطحها حتى اجتاح اليابسة كالطوفان، وأدرك منسوب الماء ركبتي (سامي) فتجمد قلبه رعبًا.

قفز نحو السمكة مرتاعًا، وأمسك بها يهزها بقوة.

- «أفيقي! أفيقي! لا تموتي! أرجوكِ! لا تموتي!»

ظل يهزها ويبكي مرتعبًا من مصيرٍ ينتظره، يقسم الأيمان على الندم ويرجوها أن تفيق، لكنها كانت قد رحلت بلا عودة.

تفجرت نوافير عظيمة من كل اتجاه حواله، وتلاحقت أنفاسه ومعها دقات قلبه تنذر بموتٍ قبل موت، ثم برزت من تحت الماء فجأة زعنفة عملاقة سدت مجال رؤيته.

اتعست عيناه تراقبان الموت الهابط عليهما ببطء مرعب، وانقطعت دقات قلبه فجأة في انتظار الموت! اقتربت الزعنفة حتى كادت تدركه، ثم انثنت في اللحظة الأخيرة فاحتوت السمكة داخلها وغطست بها إلى الأعماق بطرطشة مدوية، ساد بعدها سكون تام.

انحسر الماء عن اليابسة في ثوان، وعادت البحيرة لهدوئها الأول، و(سامي) يقف على شاطئها متسع العينين يلهث حد الموت.

احتاج دقيقة كاملة ليتخطى الصدمة، ثم انفجر بعدها في ضحكات مجنونة لا يصدق أنه نجا!

قفز إلى اليابسة مسرعًا، فرأى خيط سنارته يتدلى أمامه، وقد قذف بها المد الجارف إلى فرع شجرة، وخطافها المحتفظ بالدودة يهتز كالبندول أمام عينيه.

انقطعت ضحكا ته فجأة، يحدق في الدودة مذهولًا. ثم ارتجت الأرض من تحته بعنف، فنظر إلى أسفله فزِعًا، ليصرعه رأس دودة عملاقة تتفجر عن الأرض من تحته، فتنطلق عاليَا قاذفةً به إلى أعلى فرع بالشجرة، ليخترق سنُّ الفرع المعقوص كالخطاف شدقه حتى يخرج من جمجمته!

تحشرجت أنفاسه، وانحسر الدم عن قلبه، ليرى بعينين زائغتين انعكاس كوكبة الحوت على سطح البحيرة، يتلوى كالدودة سابحًا، ثم يغطس إلى قاعها، ليسود الظلام كل شيء!

★ تمت بحمد الله ★



الميزان

بقلم: محمد نور

جروب #الفزع_في_كلمات

«**لقد** كان عشاء لذيذًا وشاعريًا. كنا وحدنا بالمنزل بعد أن أرسلنا الأولاد إلى بيت جدتهم ليبيتوا تلك الليلة. أنت تعرف تلك الأجواء، إضاءة خافتة، ضوء الشموع المعطرة الموضوعة على المائدة، وتلك الموسيقى الناعمة. لقد كانت ليلة مميزة، أو هذا ما حاولنا أن نجعلها. بعد كل تلك الفترة من المشاحنات والمشاكل التي كادت أن تعصف بزواجنا، جاءتني فكرة العشاء الرومانسي؛ فأي فرصة سانحة ستأتي غيرها لأقتلها دون أدنى مقاومة منها!؟»

ـ «لقد أوجدتَ فعلًا فرصة رائعة لإصلاح الوضع بينكم، ولكنك بدلًا من ذلك استغللتها لقتلها؟ هل أنت حقًا أحمق إلى هذه الدرجة!؟»

ـ «لم يكن الإصلاح ممكنا. أنت لا تعلم حجم الجحيم الذي جعلتني أعيشه! إرادة لامتناهية للنكد، تلك (الكشرة) المنحوتة على جبينها كأنها ولدت بها، كلام جاف لا يحتوي على أية مشاعر أو ود، علاقة زوجية معدومة. لقد جعلتني أشعر أنها لا تطيق فكرة أني على قيد الحياة! لقد كانت امرأة محطمة للأعصاب بكل حماس، وأنا لم أعد قادرًا على تحملها أكثر»

ـ «وهل كانت هكذا قبل أن تكتشف خيانتك لها؟»

ـ «ها قد عدنا إلى أسطوانة الخيانة ثانية! يا رجل لماذا تسمون الأمور بمسميات أكبر من حجمها؟ لم تكن خيانة، لقد كانت نزوة. بعد 15 عامًا من الزواج ليس من الغريب أن يملّ الرجل من الروتين الزوجي، وكانت السكرتيرة ترسل لي الإشارات والتلميحات في كل فرصة ممكنة، وبالنهاية ضعفت أمام الإغراءات. أنا بشر من لحم ودم، ومهما كانت مقاومتي فلها حدود. وبعدها اعتذرت وأبديت الندم وطلبت سماح زوجتي، لم يكن هناك من داع لتقلب حياتي جحيمًا وتملأها نفورًا ونكدًا»

ـ «لكنك لم تعترف بخطئك لها. إن ما حدث هو أنها دخلت عليكما مكتبك فجأة لتجدك بوضعك المخزي مع السكرتيرة، فماذا تتوقع منها بعد ذلك!؟»

ـ «أن تتفهم. هل تعلم أن خيانة الرجال لزوجاتهم سببها الزوجات أنفسهن؟»

ـ «حقًا!؟ وكيف ذلك أيها النبيه؟»

ـ «إن الزوجة حين تتوقف عن الاهتمام بنفسها وبمظهرها وتهمل زوجها، فإن الزوج يبدأ بملاحظة النساء الأخريات، ويرى تفاصيلهن التي حُرِم منها بالبيت؛ فما حدث بالمكتب لم يكن خطئي بالكامل؛ فهي تتحمل فيه جزءاً من المسؤولية»

ـ «لا يبدو لي كلامك مقنعًا وأنت تقوله وكرشك يتدلى أمامك؛ فلستَ المثال القوي على المحافظة على المظهر، فلماذا لم تخنك هي أيضًا!؟ اسمعني جيدًا.. إنك لست مخطئًا سيئًا فقط، ولكنك أيضًا تحاول التبرير بأسلوب هو أقرب للحمق؛ فإن كنت تحاول أن تكون محامياَ للشيطان فقد ألبسته البدلة الحمراء وأرسلته إلى (60 داهية). فلا أعلم هل هو محظوظ لأنك لست محاميه أم أنت المحظوظ لأني من قمت بالدفاع عنك؛ لأن حججك قد تُورّطك أكثر مما قد تفيدك»

ـ «دعك من الفلسفات الفارغة؛ فأنا ليس مطلوباً مني أن أدافع عن نفسي.. إنه عملك أنت، وقد قبضتَ عليه أموالًا طائلة»

ـ «فعلًا، مادمتَ تدفع ما يكفي فلك مني أن أصنع المعجزات. إني أذكر أن قضيتك كانت هي أولى قضايا الرأي العام التي ترافعت فيها وكسبتها، مع أن القاضي والنائب العام وجميع من اطلعوا على القضية كانوا متأكدين من أنك الفاعل، ولكني تمكنت من تبرئتك. ومن يومها لمع نجمي وأصبحتُ أشهر محامٍ في البلاد، واستحققتُ لقبي الذي اشتهرتُ به بين الناس (محامي الشيطان)؛ فمهما كان ما أنت مذنب به، أنا أستطيع إخراجك منه كالشعرة من العجين، ما دمت تملك ما يكفي من المال»

ـ «وأنا أشهد لك على قدرتك وعلى جشعك»، قالها، وقام ليحضر زجاجة شراب أخرى بدل تلك التي فرغت، وعاد وجلس مكانه مترنحًا من أثر الزجاجة الأولى، سكب كأسًا لكليهما قائلًا:

ـ «(محامي الشيطان)، ها! ههههه.. اشرب اشرب؛ فهذا نوع فاخر حتى الشيطان نفسه لا يملك ما يكفي من المال لشرائه.. فلنحتفل بنصرنا»

وضع المحامي كأسه جانباَ وصمت برهة، قبل أن يُخرج بعض الأوراق من جيب معطفه الداخلي ويضعهم على الطاولة أمام مضيفه.

ـ «ما هذا؟»

ـ «هذه مجرد أوراق بسيطة تحتاج لتوقيع منك لا أكثر. هذه ورقة تنازل عن قصرك الجميل هذا، وهذه ورقة توصي لي بها بجميع أموالك، وهذا شيك بمبلغ صغير إضافي»

اتسعت عينا مضيفه ببلاهة وعدم فهم. قرأ الأوراق ليتأكد من حقيقة ما يقول، ووجدها تطابق كلامه. ضحك قائلًا:

ـ «يبدو أن الخمر قد أثّرت على عقلك. هل أنت جاد فيما تقول؟ أم هذه دعابة سمجة من دعابات المحامين!؟»

ابتسم المحامي بصمت، وأخرج جهازَ تسجيل صغيراَ، وشغّله، ليخرج صوت مضيفه وهو يتحدث عن قتله لزوجته بالتفاصيل المملة. فتح الرجل عينيه مصدومًا وخانه صوته، فلم يستطع أن يقول كلمة. قال المحامي بصوت هادئ وبنبرة قوية:

ـ «دعني أكن واضحًا ومختصراَ.. هل تعلم ماذا سيحصل لو -لا سمح الله- تسرّب هذا التسجيل لسبب أو لآخر؟ هل تدرك حجم أبواب الجحيم التي ستفتح لتبتلعك؟ صدقني لو كنت تعرف مصلحتك ستستمع إلى نصيحتي وتوقّع هذه الأوراق.. مجرد هذا القصر وبعض النقود، أما باقي أملاكك فستكون لي بعد أن تموت وليس الآن.. هذا يعني أنك ستستمتع بها طوال حياتك؛ فليس هناك ما تقلق بشأنه. هيا كن ولدًا مطيعًا، وضع توقيعك الجميل هنا»

وأشار إلى السطر المنقّط في نهاية الورقة.

ـ «لكن... لكن... هذا ابتزاز! أنا لا أصدق! لقد ظننتك صديقي!»

قهقه المحامي بصوت عالٍ كأنه سمع نكتة راقت له جدًا، وأجاب:

ـ «صديقك!؟ يا رجل لا تخلط بين الصداقة والعمل. هذا عمل (بيزنس)، وأنت حتى زوجتك لم تسلم منك، فأي صديق تطلب!؟ هيا وقّع الأوراق وإلا ستجد أخبارك تملأ الصحف والمواقع الإخبارية غدًا صباحًا. ولا تحاول أن تختبر صبري؛ فأنا جاد فيما أقول»

ونظر إليه بنظرة نارية قائلًا: «وقّع الأوراق»

هل هو تأثير الخمر أم المفاجأة؟ هل هو من أثر الخوف أم الذهول؟ لكن الرجل كاد يقسم أن في تلك اللحظة تغيرت ملامح المحامي ليبدو كالشيطان نفسه! لقد تملكه الهلع والرعب، وبكل ذلّ أمسك القلم وبدأ يوقّع الأوراق دون أن ينطق بكلمة؛ فقد وقع في مصيدة هو صنعها بيده، وها هو يدفع ثمن فعلته بكل مهانة وعجز.

ـ «براڤو!»، قالها المحامي وهو يراجع الأوراق ليتأكد من سلامة التوقيع عليها، ويطويها ليُرجعها إلى جيب معطفه. في تلك اللحظة حاول مضيفه النهوض من مكانه ولكنه لم يستطع؛ فقد شعر بالدنيا تدور به، وبدوار كاد أن يعصف بوعيهن وارتمى على مقعده ثانيةً.

ـ «آه، يبدو أنه لم يعد أمامك سوى دقائق قليلة.. لذلك عليّ أن أقول لك ما أريد بشكل سريع»

ـ «دقائق قليلة!؟ ما.. ماذا تعني!؟»، قالها بصوت ضعيف متهالك.

ـ «ستعرف قريباَ ماذا أعني، لكن أظن أن لحظة الحقيقة قد وصلت، فاسمعني جيدًا.. أعلم أنك تظن أنني ترافعت عنك من باب الصداقة لأنقذك من حبل المشنقة وأنجيك من العذاب الذي كان ينتظرك في السجن، وأني فعلت ذلك طمعًا بالمال. حسنًا، أنا لا أنكر الجزء الخاص بالمال؛ فقد كان أحد أهدافي، ولكن السبب الحقيقي لدفاعي المستميت عنك لتحصل على براءتك هو أني أريد قتلك بنفسي لأشفي غليلي منك. هل تظن أني سأدعك تموت بيد غيري بعد أن قتلت الإنسانة الوحيدة التي أحببتُها في حياتي!؟ لقد كان الأمر مؤلمًا وموجعًا لي بما يكفي لأراها

ملكك، ولكن ما كان يقتلني بالفعل هو أن أرى طريقة تعاملك معها. لقد كنتَ تمزّقني بخياناتك وإهانتك لها. أنا كنت أتمنى لو كانت هذه المرأة من نصيبي لأصونها، وأنت كنت تمتلكها ولكنك كنتَ تهدر حياتها بغرورك وأنانيتك وقذارتك، ثم ماذا؟ ثم قتلتَها! لقد قتلتَها أيها الوغد التافه! انتزعت حياتها وقلبي في نفس اللحظة! وبعدها أتيتُ إلي لأنقذك! كنتُ على وشك أن أقتلك لحظتها، ولكني قررت أن أدمرك قبلها.. أن أراك تموت ذليلًا مقهورًا عند قدمي.. نعم، حين ذهبتَ لإحضار الزجاجة الثانية سكبتُ لك السم في كأسك، وأنت كنتَ ثملًا فلم تنتبه أن الكأس لم يكن فارغًا تمامًا. الآن أراك تصارع الموت وأستمتع بمنظر روحك وهي تخرج من جسدك. لقد سلبتَ المرأة التي أحببتُ حياتها، وها أنا أسلبك كل شيء.. سوف آخذ حياتك وروحك.. ستموت دون أن يجدوا معك ما يكفي لدفنك.. ستموت وحيدًا خائفًا ذليلًا. أما أنا فسأستمتع بكل شيء بعدك.. هذا ثمن بسيط لما سلبته مني»

جاحظَ العينين، متقطّعَ الأنفاس، شاحبَ الوجه، مشدوهًا مذعورًا غير مصدق، بدأ وعيه يتسرب منه ويشعر بالبرودة تنتشر في جسده.. سقط رأسه على الطاولة أمامه جثة هامدة.

وقف المحامي ونظر إليه نظرة أخيرة مبتسمًا برضا. تحسس الأوراق في جيبه، وفي طريق خروجه لمح مجسمًا موضوعًا على رف المكتبة يُمثّل سيدة العدالة حاملةً ميزانها ذا الكفتين المتوازنتين بيمينها. اقترب منه وأمال إحدى كفتي الميزان مستهزئًا، هامسًا لنفسه:

ـ «لا يحتاج الشيطان إلى محامٍ؛ فكل محامٍ شيطان من نوع خاص»

وخرج من البيتِ مزّهوًا بنصره وبمكسبه.

⋆ تمت بحمد الله ⋆



بحيرة الميزان

بقلم: إسماعيل موسى

جروب #عندما_يبتسم_الجحيم

قبل خمسة عشر عامًا..

كنت أخترق حقول الذرة عبر طريقٍ ضيق، أدفعُ أطراف النباتات عن وجهي وجسدي متجهًا نحو البحيرة. كان الليل وقت ذاك مظلم مُغتَصَبٌ بالسكون والصمت. أذناي متأهبة تسترق السمع لحفيف أوراق الذرة، وفي مخيلتي قصصٌ كثيرة عن عشق الجان للبشر، وعن مارد يسكن أعالي النيل في بقعة عميقة. كل تلك الأفكار كفيلةٌ بإيقاظ شبح الخوف بين أوردة قلبي.

رغم شعوري بالخوف الشديد والضعف كل مرة أصل إليها، إلا أني مرغم على عبورها لاستلام عملي الجديد خارج القرية، ووسيلة تنقلي الوحيدة هي القارب المهترئ الذي ملأ الصدأ أعلى مقدمته المغلفة بالصفيح الرقيق. وبعد عدة أيام اعتدتُ مرور البحيرة الراكدة، رغم كل ما قيل عنها من حكايات مخيفة، وإشاعات تبعث على الرهبة والحذر. وعلى غير عادتي التي أحرص فيها على الرجوع قبل غروب الشمس، تأخرتُ كثيراً؛ نظراً لتعطل الحافلة الوحيدة التي كانت تقلنا من العمل إلى مشارف المنطقة، وانعدام وسائل النقل بين الطرقات لقريتنا.

كنتُ في طريقي أمشي مرتعبًا على أربع هواجس تتضارب في مخيلتي {سلعوة، وجنية، ومارد، وليل}. الخوف يكاد يشلني، وأشباح الظل تحاكي حركاتي، ولم أجد لشغل نفسي طوال الطريق سوى مذياعي القديم يصدح منه صوت رخيم لشيخ يُجَوّدُ آياتِ قرآنية يطمئن بها قلبي، ومع ذلك كنت ألتفت هنا وهناك، أمني نفسي بملاقاة شخص من القرية يعود هو أيضًا متأخراً مثلي.

كان طريقي يمتد لفرسخ من الأمتار، وفي نهايته جسر ترابي يصل للمرسى، وهناك قاربي الصغير. أرفع مرساته وأجدّف في سكون الليل نحو بقعة مسطحة ليست عميقة، تستقبل أعالي النهر. أنزل المرساة، وأرخي المجدافين، وأشعل (وابور الجاز)، وأصنع الشاي استعدادًا لبزوغ القمر. مازال المذياع يصدح، ولكني غيّرت تردده لتتهادى نغمات قديمة تحمل عبق التراث. بدأ القمر في صعوده، وانعكاس ضوئه الفضي على سطح الماء. سكبت الشاي في كوب زجاجي، وارتشفت رشفة

تبعتها بأنفاسٍ من الدخان. أتمّ القمر ولادته وا تخذ مكانه بين النجوم وكأنها تزفّه. أعُدّ النجوم.. واحد، اثنان، ثلاثة. وأرسم خطًا خياليًا بينها، فأشكّل تارة منارة، وتارة أخرى قاربًا أكبر، وأمسحه مرة أخرى لأرسم خطًا أوسع في سماء الليل الهادي وأوازيه بخطوط أخرى، وأنا أتساءل لِمَ سُميت ببحيرة (الميزان) تحديدا؟ لِمَ أهل قريتنا لم يطلقوا عليها مثلًا اسم (بحيرة الشياطين)؟

وا بتسمت لشكل الميزان الذي جسّدته بتلك الخطوط الخيالية التي تنساب ما بين النجوم، مقتنعًا أن كفة إيماني بالله وقوتي غلبتْ كفة خوفي وتصديقي للخرافات والأكاذيب التي تُغلّف قلبي.

هبّت نسمةٌ صيفية تعانق جسدي، فتمنحه طراوة تبخر معها الخوف ولم أعد أفكر في الخرافات وحكايات الجن والعفاريت؛ ففي محيط الماء يجب أن تركز كيف تعبر إلى بر الأمان؛ فالبحيرة هادئة عادةً إلا إذا حدث مكروه ما لقاربك وأخذك للأعماق.

مازلتُ أذكرُ آخر حادثة في هذه البحيرة الرهيبة، فيا تُرى أين حملت الأقدار ذلك الشاب المسكين الهارب من قيظ الصيف، ليتقدم سابحًا غير مكترث لتحذيراتي حتى وصل للبقعة الراكدة، وشاهدتُه بأم عيني يتهادى للأعماق دون مقاومة! رفع يده للأعلى مرة واحدة، ولم يكمل الأخرى!

الجميع يعلم أن كل عام في مثل هذا الوقت هناك ضحية من خيرة شباب قريتي وفي منتصف ربيعهم، تُزهق أرواحهم وتنزل أجسادهم إلى الأعماق، ولم تنفع في انتشالهم كل وسائل رجال الإنقاذ المتطورة. وكلما غاصوا للأعماق بحثًا عن الجثة يسرعون خارجين منها، ويحجمون عن شرح سبب هلعهم وخوفهم من مواصلة البحث عن الجثث، وحُجّتهم في ذلك أنهم لم يصلوا لأعماقها، وأنهم سيعودون عن قريب بمعدات أكثر تطورًا ودقة وأسطوانات أكسجين أصغر لأن الأسطوانات الكبيرة تعيقهم، ولكن كلنا كنا نعرف أنهم يكذبون، وأننا لن نراهم حتى الضحية المقبلة. فما سبب كل تلك الحوادث يا ترى!؟ أيعقل أن تكون (ندّاهة) تقتات بأرواح شباب قريتنا كما انتشرت الأقاويل!؟

أم جنية شيطانة تسكن قاع البحيرة تستمتع بخطف كل من عبر بقعتها الراكدة!؟

كلها فرضيات وأقاويل لم تثبت صحتها بعد، لكنني أتذكر جيدًا ما قاله لي أبي ولم يشأ أن يخبر به الآخرين خشية أن يُنتقم منه، ويحدث لي مكروه؛ فلقد روى لي حينها أ نه لمح بين الحشائش المتأخمة لضفة البحيرة مسخًا ما، والشعر يغطي كل جسده، بما فيه وجهه وأذنيه؛ وبمجرد أن شعر بوجوده غاص للأعماق، ولم يستطيع أن يحدد أوصافه جيدًا، لكنه شعر بعدها بخوف شديد، مما أدى إلى شلل نصف وجهه، وربما هي ضريبة وقوفه ورؤية صفة ساكن البحيرة.

وفجأة قُطع حبل أفكاري بسماع صوت ارتطام جسد بالماء! لم أر شيئًا، ولكن الحلقات الناتجة عن الارتطام وصلت لجانب القارب، ولم يبقَ في رأسي عقل أستطيع به درء شكوكي، وانتصبت أذناي، وأخذت قدماي في الارتعاش!

أيكون زائري الليلة!؟ عيوني الخائفة تجوب الأنحاء ولكني لا أرى شيئًا. أعلم أني في بقعة ضحلة، ولن يقترب مني، ولكن كيف لي أن أدفع الخوف وسكون الليل تبدّل لصخب مرعب يخترق أذنيّ!؟ لا فائدة من الجلوس مقيد الحركة من شدة الهلع، فقررت أن أبدأ في التجديف لأقرب بقعة من اليابسة، وكل لحظة كنت أجدف وأنظر حولي، وخلفي تيارٌ من الماء يتبعني.

يا إلهي! لقد خُيِّل إليّ أني أرى ذلك الشاب البائس يغرق من جديد، ويشير لي بنظرات راجية، ثم نارية شزرة؛ وكأنه يلومني عن عدم تمكني من إنقاذه. ترددتُ قليلًا؛ أيعقل أنها حقيقية!؟ ويجب علي التريث حتى أنقذه!؟ أم أسرع في الهروب أأمن لي؟

وأطلت لحظة الوصول إلى قرار؛ ماذا أفعل يا ترى؟ وكأني وُضِعتُ في ميزان، وفيه مخرج حياتي!

هل أرجّح عقلي وأنفُد بجلدي؛ لعله كان فخًا من جنية البحر؟ أو أرجح قلبي، وأنقذ الشاب الذي يهتف باسمي متوسلًا، وأريح ضميري من عذاب متواصل؟

وفي لحظة من الزمن أخذت قراري، وأنه لا يمكن السباحة نحوه، وحتى إن فعلت فالقارب لا يسعنا نحن الاثنين؛ فهو صغيرٌ جدًا، وزاده القدم عيباَ. وفجأة اختفى الغريق وعم الهدوء! وكأن كل ما رأيته كان أضغاث أحلام، ولكنني أعلم أن ما رأيته كان حقيقة وكنت أُكذّب نفسي.

فاغتنمت فرصة الهدوء المريب حينها لمواصلة التقدم نحو اليابسة بأقصى سرعة، والتي كانت تغطيها بكثرة بعض الحشائش والحلفة واللبلاب، حتى أن ظلالها على الشاطئ ترعبني، وأصابعي تخترق ألواح المجداف، وحدسي يخبرني أن هناك من يخترق المياه متتبعًا مساري.

على بعد خطوات مني ظهر شعرٌ كثيفٌ من الماء، وقبل أن أتبين الوجه كنتُ قد وصلتُ وقفزت مبتعدًا. ونظرتُ خلفي لأرى جسدًا عاريًا يصعد على مؤخرة القارب. كنت أخشى النظر، فلم أتبين جيدًا، وأيقنت أنه لا جدوى من الفرار؛ فالمسافة بيني وبين العمران أكثر من ميل، أضف عليها نصف ميل قطعته أثناء التجديف؛ فإذا كانت تلك روحًا شيطانية، فلن أتمكن من مجاراتها. ولكن المسخ أظنه لا يقوى على مغادرة الماء للحظات، لذا فهو لم يلحقني إلى اليابسة، واضعًا في اعتباري كل الفرضيات.

مشيتُ خطوات لأخترق حشائش الغاب والحلفة الكثيفة وأكنان النباتات القديمة، ثم وقفتُ مختبئًا خلف عيدان الغاب الطويلة، ومتسلقًا اللبلاب؛ فقد بدت ساترًا منيعًا. وعلى امتداد البصر كانت تلوح هناك محطة مهجورة لترشيح المياه، تعلو جرف النهر، يشع منها مصباحٌ خافت بعيد. المجازفة بالركض إليها محاولة غير مضمونة العواقب، وإني أسمع أيضًا (وابور الجاز) مازال مشتعلًا في القارب! كنتُ أسمع صوته عندما أعيد تلقيمه بدفعات من الهواء عن طريق (الكباس) الخاص به. يبدو أن مُلاحقي ليس في عجلة من أمره، أو واثق من نفسه بأني صيده ولا حيلة لي في الفرار! أم أن هناك شيئًا آخر لا أعلمه!؟

بدأتُ في إزاحة أطراف الحشائش من أمام وجهي لأفتح ثغرة أرقب منها الجالس في القارب دون أن يراني، ولكني لم أتمكن حيث كنت أقف في مكاني كتمثال من

صدر التاريخ، أجزاؤه بشرية ومثانته مملوءة بالماء. كان القمر يتهادى خلف أعواد الذرة وأشجار النخيل، وأشباح الظلال تتعالى وتقترب. بدأ شعر رأسي ينتصب، وهذا أمر لا يبشر بخير؛ حيث ينتصب الشعر عند اقتراب روح ضالة لشرير أو شبح من الجسد. كان صوت بومة ينوح من بعيد، وللمرة الأولى في تلك الليلة لن أتمكن من الاختباء أكثر من ذلك؛ فخلال لحظات سيعم الظلام كل الأرجاء. سَرَت رعشة شديدة في قدمي، وكأن أياد متعفنة من أسفل الأرض تعبث بها، حينها قُرِع كوب الشاي الزجاجي في أحد ألواح القارب، فها هو ملاحقي يصنع الشاي، أم يخيل إلي؟ إذ هو ليس روحًا وليس ماردًا، فمن يكون؟

في البداية كنت أحسبها روح ذلك الشاب الغريق، ولكن خاب ظني، كما أن القبول بواقع أنه مارد بات مستبعدًا، وعندما لا تدرك سبب رعبك يستوي المسبب فأر أو ثور كلاهما نفس الوقع. جاء صوت أنثوي من بعيد ليخترق حاجز الصمت.

قائلًا: «تعال»

هل أنا أهذي!؟ يبدو أن التشتت القاتل قد أصابني!

تكرر الصوت مرة أخرى: «تقدم.. لن أؤذيك.. أنا أحميك منهم»

يمكن لشخص على بعد خمسين مترًا سماع أن هناك أنثى تنادي على أحدهم، ورغم ذلك رفعتُ يديّ لفرك أذني نزولًا بعينيَ. حقًا.. أنا لا أهذي! هناك امرأة تناديني، ولكن من سيؤذيني؟

وكأنها تقرأ أفكاري، فقالت: «ذلك المترقب خلفك، ألا تراه!؟»

كانت هذة الكلمات بواقع بلطة تزن خمسة أطنان هبطت على مراكز الحس والإدراك لدي، أما مثانتي فقد أفرغت لاإراديًا والتمثال عاد لوضعه الطبيعي؛ مجرد أحجار وصخور. علمتث الآن لِمَ انتصب شعر رأسي، ولكني لم أتمكن من النظر خلفي، وتحول نواح البومة لصوتِ مزعج عندما بدأ حفيف أوراق نباتات

الذرة يعلو، وأصوات تكسير بعض أعواد الذرة تنبئ بقدوم شخص، أو كائن، أو حيوان، أو روح، أو أي شيء آخر!

كان القمر قد أتم غروبه، والخطوات من ورائي تقترب.

وكلما حثثتُ الخطى زادت من ورائي التنهدات والحشرجات اللاهثة، وكلما زِدتُ من سرعتي يخيل إلي أني أرجع إلى الخلف، ولا أتقدم خطوة واحدة إلى الأمام!

أسمع نفس الصوت يهمس باسمي، وكأنه ملاك الموت يختارني في هذه الليلة المشؤومة. وخانتني قدماي أخيراَ، وسقطتُ فاقدًا للوعي لا أدري ما حل بي.

منذ خمسة عشرة عامًا، مازلتُ أذكر تلك الليلة، ومازلتُ أعبر البحيرة، ولكني أعمل الآن على قاربي الجديد؛ كي أوصل شباب قريتي خارجها؛ فما عشته لن أسمح بتكراره معهم أبدًا، ومازال مذياعي يؤنسني في رحلتي. وأما عن ما يثبت كلامي فهو ذاك الأثر الوحيد الذي ترونه في نصف وجهي من شلل.

نعم؛ فأنا لا أستطيع تحريكه منذ تلك الليلة..

قبل خمسة عشرة عامًا!

⭑ تمت بحمد الله ⭑



زودياك

بقلم: نورهان ياسر عبد الله

جروب #عندما_يبتسم_الجحيم

شعرت بمن يهزها هزًا رقيقًا. استيقظت لتجدها جدتها (زاهية). فزعت (ياسمين)، ونهضت مسرعة لتسألها بصوت قلق، لم يفارقه أثر النوم بعد: «ما بك، جدتي؟ هل أنتِ بخير؟»

ردت (زاهية) بحب: «لا تقلقي حبيبتي، أنا بخير. انهضي معي.. أود أن أتحدث معكِ قليلًا»

نهضت (ياسمين) والحيرة تملؤها؛ فما الشيء الخطير الذي يتطلب الحديث في مثل هذا الوقت!؟

خرجت من غرفتها، لتجد جدتها تنتظرها. تأبطت يدها لتنزلا السلم سويًا. لم يكن هناك سواهما بالقصر في ذلك الوقت؛ فهما وحيدتان، لا أقارب ولا أهل، حتى (ياسمين)؛ فهي يتيمة الأب والأم، و(زاهية) جدتها لأبيها هي من تكفلت بها.

شبّت (ياسمين) بهذا القصر الرائع، عاشت به منعمةً لا يُردّ لها طلب، وفي ذات الوقت هي لا تعلم مصدر ثراء جدتها؛ فجدتها لا تعمل، فقط هؤلاء الناس الذين يتبركون بها لقدرتها على التكهن بالمستقبل، وقراءتها للنجوم بالفطرة، ويحرصون على منحها الهدايا. أما (ياسمين) فصحفية ناشئة بإحدى الجرائد، ومازالت تبحث عن فرصتها؛ فهي طموح متقدة الحماس، ولا تترك طريقًا إلا وسلكته بغية الوصول لهدفها.

كادت (ياسمين) أن تتحرك تجاه غرفة المعيشة، ولكن جدتها طلبت منها النزول للقبو.

تساءلت (ياسمين) بحيرة: «الآن جدتي!؟ نحن لا نهبط به نهارًا، فما الداعي للنزول في هذا الوقت!؟»

ردت (زاهية) بنفاذ صبر: «كفاكِ أسئلة، ياسمين! فقط نفّذي الأمر!»

تعجبت (ياسمين) من لهجة جدتها الحادة، واستسلمت لطلبها بصمت.

هبطتا معًا إلى القبو لتفاجأ (ياسمين) بمظهره، فالقبو مضاء بإضاءة خافتة، وسائد مريحة تتوسطه، ورائحة بخور نفاذة تأخذ العقل، وفي كل جانب تمثال صغير يمثل رأس حمل أبيض اللون.

كادت أن تسأل مجددًا، لتسبقها جدتها قائلة: «بنيتي، أعلم أن بداخلك الكثير من الأسئلة، ولدي أجوبة لها جميعًا، ولكن لتجلسي هنا أولًا»

جلست (ياسمين) أمام جدتها، التي اقتربت منها ناظرة لعينيها بثبات، قائلة بصوت كأنه الهمس: «سأمنحكِ السعادة، بنيتي.. وأصل بكِ إلى أقصى ما تطمحين.. فقط انظري لعيني؛ سترين ماضيك وقادمك. تعالي بنيتي، تعالي..»

نظرت (ياسمين) بعيني جدتها أثناء حديثها، لتشعر بقوة غامضة تجذبها لداخل هاتين العينين، وببطء فقدت إحساسها بالمكان والزمان، يتملكها شعور أنها تطفو داخل دوامة من الضوء، وأمامها تتابعت الأحداث والصور؛ فها هي ترى شبابها وطفولتها، وصولًا إلى يوم ميلادها. ها هو جدها يحملها ويخبر أباها بأن اليوم هو نفس تاريخ ميلاد جدتها (زاهية).

وأثناء حديث الرجلين، ظهرت أمامها امرأة يغطيها فراء أبيض، رأسها رأس حمل، تقف على قدمين كالبشر، وكأنها مزيج من حمل وإنسان، تدور حولها وتباركها، لا الجد ولا الأب يرونها، لكنها تراها بوضوح. تقترب منها وتهمس لها: «أي بنيتي، أنتِ مني وأنا منك.. ميلادنا واحد، نجمنا واحد.. كلانا حمل وديع يحمل للناس الأمل والنجاة. سأغدق عليك بحماسي وهمتي»

تصبح الصورة ضبابية فجأة، وصوت يتردد بذهنها: «ستكوني أنا حبيبتي.. لا تخافي؛ فالآن ستصبحين (زاهية) بهيئتها، وعقلها، وذاكرتها. وبنهاية الطريق ستجدينني بانتظارك حبيبتي»

لتغيب (ياسمين) بعدها فاقدةً الوعي.

استيقظتْ (ياسمين) بعد وقت لا تعلم مدته، لتجد نفسها في خيمة يبدو أنها لأهل البدو. تلفّتت حولها بحذر.. ترى أين هي؟ وأين جدتها؟

فجأة دخلت امرأة ترتدي الزي البدوي، لتقول بلطف: «استيقظتِ يا (زاهية)؟ حسنًا، هيا.. لدينا الكثير من العمل، بنيتي»

تلفتت (ياسمين) حولها، تبحث عن (زاهية) التي تحدثها المرأة، تعجبت؛ فلا يوجد سواها بالخيمة!

تعجبت السيدة: «ما بك، (زاهية)؟ لِمَ تتلفتين حولك!؟ أتبحثين عن شيء!؟»

ردت(ياسمين) بحيرة: «أتوجهين كلامك لي!؟»

لتقول المرأة بنفاذ صبر: «لا وقت للعب، زاهية! هيا بنيتي، انهضي وساعديني»، وتركتها لتخرج من الخيمة.

نهضت (ياسمين) لتفاجئها الصاعقة؛ فهي الأخرى ترتدي زيًا بدويًا. ليس هذا فحسب؛ بل نظرة لمرآة صغيرة وجدتها بإحدي زوايا الخيمة أنهت حيرتها. لقد أصبحت (ياسمين)، لكن بجسد وعقل (زاهية)!

دق قلبها بخوف، وأخذت تبكي: «ماذا فعلتِ بي، جدتي؟»، لتداهمها نوبة صداع قاس، امتدت لحظات، ومعها صوت يتردد بعقلها: «الآن أنتِ (زاهية).. ترين بعينيها، وتعيشين ماضيها، لتهيئي معها حاضرها»

بكت (ياسمين): «إذن لقد حبستني جدتي بجسدها وماضيها، ولم يعد لي مفر. سامحكِ الله جدتي؛ فلم تري مني أي سوء»، ثم مسحت دموعها، وخرجت من الخيمة مستسلمةً لقدرها.

خرجت لتجد تلك السيدة التي تركتها منذ قليل، ومعها فتيات وسيدات أخريات يعددن طعامًا.

كانت تشعر بجوع وظمأ، جلست لتساعدهن؛ فهي (زاهية)، ولابد أن تبدو طبيعية. فإذ بتلك السيدة التي اتضح أنها والدتها تخبرها برفق: «هيا، تناولي طعامك سريعًا، واذهبي لسقاية الغنم»

كانت (ياسمين) متعجبة؛ فقد ذهبت وحدها لإحضار الماء، وسقاية الغنم، وكأنها تفعل ذلك يومياَ، ثم أخذت تهش غنمها وترعى بها قليلًا.

ليظهر أمامها فجأة رجل يبدو عليه الألم الشديد، هرعت إليه فزعة: «ما بك سيدي؟»، لترى ثعبانًا يبتعد عنه. لا تدري من أين أتتها تلك الجرأة، أمسكت حجراَ كبيراَ، وهبطت به علي رأس الأفعى بقوة، ثم هرعت إلى الرجل مرة أخرى، لتقطع جزءاَ من حجابها، وتربط به فوق عضة الأفعى، وبفمها تحاول أن تُخرج السم وتبصقه. من علّمها هذا!؟ لا أحد؛ فهي الآن تتحرك بروح (زاهية)، وجسدها، ومواهبها. ثم هرعت سريعًا إلى خيمة والدها، لتخبره بالأمر. خرج الرجل سريعًا لإحضار المصاب، وقاموا بمعالجته من أثر السم.

وبعد عدة أيام قضاها الغريب معهم حتى استرد عافيته، استأذن بالرحيل. عندها كانت (ياسمين/زاهية) ترعى غنمها كعادتها الصباحية.

الغريب: «صباح الخير، (زاهية)»

ـ «أهلا بك، سيدي. كيف حالك اليوم؟»

ـ «بخير، والفضل لكِ. أشكركِ على إنقاذ حياتي»

ـ «لا داعي، سيدي. نحمد الله على أن نجاك»

ـ «أعجبتني جرأتك، (زاهية). رأيتُ فيكِ ما أبحث عنه منذ أن هبطت لهذا المكان»

تعجبت (زاهية) من كلام الرجل، فإذا به يتابع: «سأمنحكِ شيئًا رائعًا لإنقاذك لي»

ودون مقدمات أمسك برأسها ليضغط عليها بكلتا يديه. لم تتمكن (زاهية) من الصراخ أو الهرب، تشعر أنها مقيدة. لتلمع أعين الرجل بضوء ساطع يغشي الأبصار، وتردد صوته، وهو يقول: «أنتِ لنا منذ الآن. سترين ما لا يراه غيرك.. ستعلمين بواطن الناس، وأسرارهم.. ستقرئين مستقبلهم وتمنحينهم السعادة والعذاب.. أنتِ لنا وكوني على موعد.. سيبدو لكِ موعدنا بعد أعوام طوال، ولكنه

لنا مجرد أيام، وعندها لن تعودي وحدك.. عودي ومعك من هي من دمك، فتكون امتداد قوتك وامتدادنا»

شعرت (زاهية) حينها بقوة غريبة تجتاحها، وعندما تمكنت من فتح عينيها وجدت الرجل قد اختفى!

عاشت (زاهية) أيامًا مختلفة بعد ذلك؛ فهي ترى ما ينتظر الجميع، تعلم خباياهم، وأصبحت عيناها تشعان ذكاءً، وقد علمت أن هناك شابًا سيأتي بمهمة عمل بالصحراء، وأنه يحيا بإحدى القرى الريفية القريبة. علمت أنها ستتزوجه برغم عادتهم القبلية بوجوب الزواج من أبناء عمومتهن. وبالفعل تزوجته، وانتقلا للعيش بقريته، وأنجبت طفلًا جميلًا، لكن زوجها لم يتحمل موهبتها تلك؛ فهو يشعر بأنه مراقب؛ فهي تعلم ما حدث، وما سيحدث، انفرادها بنفسها في بداية كل شهر قمري، تلك اللغة الغامضة التي تهمهم بها ليلًا أثناء نومها. كانت تخبره أن هذه طباع البدو، لكنه يدرك أنها كاذبة؛ هناك شيء تخفيه عنه.. شيء يخيفه، ويقض نومه.

ذاع صيتها بين أهل القرية، وأصبح منزله أشبه بمنزل عراف؛ فالجميع يأتي إليها لحل مشاكلهم، ومعرفة طالعهم. وكان الفراق بينهما وحرمانها من طفلها هو الحل، لينطلق بطفله هربًا منها إلى القاهرة. وتعود هي إلى بلدتها من جديد. وأخذت تمارس موهبتها كمهنة، واشتهرت بقدرتها على معرفة خبايا الأمور، وحل المشاكل، وأصبح الناس يأتون إليها من كل حدب وصوب.

شعرت (ياسمين) أن الصورة تتلاشى من أمامها مرة أخرى، وإذا بوعيها يعود إليها من جديد. أفاقت لتجد نفسها بين يدي جدتها بالقبو مره أخرى، وقد استعادت هيئتها من جديد.

نهضت (ياسمين) مسرعة، وقالت بخوف: «جدتي، هل ما رأيته حقيقي؟»

نظرت لها (زاهية) بثبات، ثم قالت: «نعم حقيقي»

سألتها والخوف يملؤها: «وكيف اجتمعتِ بي!؟»

ردت (زاهية): «لقد شبّ والدك، وتزوج بعيدًا عني، ولكني كنت أراه دون أن يراني، وفرحتُ لمولدك. كنتُ معك بروحي إلى أن توفاه الله هو ووالدتك بحادث. كنت أعلم، لكنه القدر، بنيتي. عندها اصطحبتك، وتربيتِ على يدي، لتكوني مستعدة بالموعد، غاليتي؛ فقد آن الأوان»

سألتها (ياسمين): «أي موعد!؟»

ردت (زاهية) بغموض: «الليلة ميلاد نجمي ونجمك، نجم الحمل، والليلة موعدنا»

نهضت (زاهية) ومعها (ياسمين)، لتجد (ياسمين) أنهما تسيران باتجاه الحائط الذي لم يكن سوى باب مغطى بورق حائط، فتحته جدتها، لتهبطا سلمًا آخر. وفور نزولهما أغلق الباب، لتجد (ياسمين) نفسها بمكان غريب؛ فهو متسع جدًا، تضيئه إضاءة مبهرة، وبه كائنات غريبة الشكل تعمل بتركيز.

شهقت (ياسمين) ذهولًا؛ فلم تتكن تتخيل أن هذا العالم يوجد أسفل القصر العظيم.

وإذا بالجميع ينحني فجأة، ومعهم جدتها. نظرت (ياسمين)، لتجد كائنًا ضخمًا لا يشبه البشر ولا الحيوان، ضخم البنيان تشع عيناه بنور ساطع، يرتدي تاجًا عملاقًا فوق رأسه، يحمل أشكالًا عدة؛ فهذا توأم ملتصق، وآخر لإنسان برأس حمل، وآخر لرجل يحمل قوسًا، وأرجله كأرجل فرس، كأنه رمز للأبراج الفلكية المعروفة، لكنها لاحظت أن الحمل يتألق بضياء مبهر.

انحنت جدتها في وضع وكأنه السجود أمام القادم، لتقول: «أهلًا بك، سيدي. ها قد جئت بموعدي. قد حضرتُ لألبي الأمر»

اقترب من جدتها، وأمرها بالوقوف قائلًا:

ـ «أحسنتِ، زاهية. لقد نلتِ رضا زودياك العظيم»

ثم تحوّل بنظره لـ(ياسمين)، قائلًا: «أهلًا بكِ في محرابي»

حاولت (ياسمين) أن تتحرك هاربة، ولكنها شعرتْ بقيد يمنعها، لتهمس لها (زاهية): «لا تخافي، بنيتي؛ فهذا سيدي (قائد كوكب زودياك)، من منحني العلم والقوة مكافأةً لإنقاذه كما علمتِ. هذا هو الرجل المصاب، هذه حقيقته؛ ليس من أهل الأرض، بل كائنًا فضائيًا، هبط إلى الأرض من أجل مهمة محددة، والليلة موعدنا معه؛ فقد آن أوان استقبال الضيفة الجديدة»

هنا نطق القائد بهدوء: «كنتِ لي خير معين يا زاهية، وقمتِ بعملك على الوجه الأكمل. والآن لنحسم الأمر؛ لقد منحتُكِ القوة والجاه مقابل عهد، أن تمدينا بطاقتنا التي نحصل عليها من بني جنسكم، بعد أن عهدنا بك اليقظة والقوة. ولكن لكل طريق نهاية وثمن، وأنتِ تعلمين»

نظرت (زاهية) لـ(ياسمين) بنظرة خاطفة، وقالت بصوت تغلب عليه الرجفة:

ـ «أنا طوع أمرك، سيدي. ها هي حفيدتي، دمي وعصبي.. وقرباني لكم»

انتفضت (ياسمين) على إثر الكلمة، وأمسكت بيدي جدتها بخوف، وسألتها: ـ «أي قربان، جدتي!؟»

لم ترد (زاهية). لم تنظر إليها خشية أن تخونها نظراتها؛ فعهد هؤلاء القوم لا قبل لها به، وما حصلت عليه قديمًا نظير مساعدتها، لن تحصل عليه الآن سوى بدم أقرب نسلها من الإناث.

نطقت (زاهية) بثبات: «ها هو قرباني، سيدي. تقبّله مني، وامنحني استمرارًا لعطائك لي»

لمعت عينا القائد بضياء مبهر، كأنه منتشٍ، واقترب من (ياسمين) بخطى كأنه ينساب كالماء. وقف أمامها يطالعها بنهم، قائلًا: «حللتِ أهلًا»

انتاب (ياسمين) بكاء مرير، وصرخت: «جدتي! ماذا تفعلين بي!؟ أنا حفيدتك! لا، بل أنا ابنتك! قطعة من قلبك! لقد وعدتني أن تمنحيني السعادة! لا تتركيني! أرجوكِ! أي عهد!؟ وأي دماء!؟ وهل للفضائيين عهد ودماء!؟ أماه، لا تتركيني!»

هنا قطع بكاءها صوتُ القائد قائلًا: «نعم، للفضائيين عهد أيتها الهرة الساذجة! أنتم تمنحوننا طاقتنا بعد أن فنت طاقتنا، واستحدثنا ما يُمكّننا من الحصول على ما نحتاجه منكم، بني البشر.. مشاعركم، أحلامكم، مقتل طموحكم، ومشاكلكم، غذاؤنا.. وأحيانًا أجسادكم.. نحن نفنى مثلكم، لكن بيدنا خلاصنا. ستمنحين دماءكِ الشابة الفائرة بحماس وأحلام لا تنضب لملكتنا الأم (ملكة زودياك)؛ لتمنحيها استمرارية وشبابًا. ستندمجين بجسدها وروحها، وتأخذيها لعالم الصحة والشباب.. ستنعمين يا فتاة»

حاولت (ياسمين) الهرب، لم تتمكن من ذلك؛ مقيدة بقيد لا تراه، لكنه يثبتها أرضًا، كجذور أشجار قديمة.

وبلمح البصر اقتربت منها جدتها (زاهية)، وجذبت يدها لتُحدث بها جرحًا طوليًا بمدية حادة كانت بين طيات ملابسها، لتنساب دماء (ياسمين) على ثقب بباطن الأرض، لتُحدث دماؤها فورانًا رهيبًا، ويمتلئ الهواء بضباب كثيف يعمي الأبصار، وصوت كأنه الغليان يرغي ويزبد، تزامنًا مع ضحكات القائد المنتصر.

«ها قد أسلمتِ قربانك، زاهية. وفّيتي عهدك، ولكِ ما شئتِ»

كانت أعصاب (زاهية) تحترق؛ فالصوت بشع لا تتحمله، وقلبها يغلي؛ لقد قتلتْ حفيدتها للتو، ولكن لا حيلة لها.

فجأه توقف الصوت، وانبعث نور رائع أخذ يخفت ببطء، مخلفًا وراءه شابةً جميلة بمقياس جمال كائنات زودياك.

و(ياسمين) ملقاة كخرقة مهترئة، وقد غزا شعرها الشيب، وتجعد وجهها كامرأة بلغت أقصى مبالغ الشيخوخة. وأمام عيني (زاهية) الذاهلتين تحول جسد (ياسمين) لذرات رماد مضيئة، تبعثرت في محيط الهواء من حولهم.

تقدم القائد من الملكة التي استعادت شبابها بفضل جسد الشابة الفانية ودمائها، ليركع بين يديها بانبهار قائلًا: «ها قد لبّيتُ، مولاتي. تقبلي خالص طاعتي»

عندها نظرت الملكة لـ(زاهية)، قائلة: «لنا من الخدم العديد، وميلاد كل نجم يحمل لنا صاحب عهد جديد. لذا لا حاجةَ لنا بكِ، (زاهية)»

صرخت (زاهية)، وهي تركع بين يديها: «مولاتي، لقد وفّيت بعهدي.. لا تقتلوني.. لقد قدمتُ قرباني لكم»

نطقت الملكة، وابتسامة قاسية تتسلل إلى وجهها: «نعم، وفيتِ، وانتهت حاجتنا لكِ»

شعرت (زاهية) أن روح (ياسمين) الغاضبة هي من تتحدث. لم تأخذ الملكة دماء الفتاة فقط؛ بل أخذت روحها، وستأخذ القصاص!

هنا أشارت الملكة، لتنطلق ذرات الرماد مقيدةً (زاهية)، وترتفع بها عن سطح الأرض في وضع كأنه الصّلب.

عندها نظرت الملكة للقائد الراكع بين يديها، قائلةً بهدوء: «فلتُنهي أمرها»

لتتزامن صرخات (زاهية) مع ضحكات الملكة.. ملكة (زودياك).

★ تمت بحمد الله ★



أسبرا-حيه

بقلم: هاجر مصطفى

جروب #مشاعر_غالية

جلس عند قدميها، ممسكًا جريدة بيديه الصغيرتين، وهو يتهجأ الكلمات بصعوبة؛ محاولةً منه في تجميع جمل. كانت الكلمات تخرج بتناغم يبدو جميلًا من بين شفتيه الرقيقتين، ولكنه لم يكن محببًا لها؛ لأنها كانت مجبرة على تجميعها حتى تفهم المغزى منها، مما جعلها تتأفف، وتزجره، وتضربه بعصاها الطويلة على رأسه كلما توقف قليلًا عن القراءة. دقق النظر في الحروف، ثم ابتسم بسعادة، وهو يقول لها:

ـ «(الآن، لك ما يكفي من الطاقة للتغلب على كل العقبات. اهتم قليلًا بالوجبات المفضلة، وستحوز طاقة أكبر).. هذا ما كُتب يا جدتي، هل أستطيع الذهاب لألعب، من فضلك؟»

رجاؤه الطفولي المطل من عينيه كان كفيلًا لزلزلة جبال قلبها، ولكنها دفعته قائلة:
ـ «تلعب!؟ ومن سيصنع الطعام؟ هيا إلى المطبخ، وأعد طعام الغداء؛ فأنا جائعة»
تقدم بدموع الحسرة، أخذ يعد الطعام بمرارة، بعد أن تخلت عنه والدته، وهربت إلى الموت بإ رادتها، إلى جوار والدها وزوجها؛ فرارًا من أم لا تعرف الرحمة طريقًا لقلبها. أنهى الطعام بمهارة لا تتناسب مع سنه الذي لم يتجاوز الثامنة، وبدأ بوضعه أمام جدته التي ما إن بدأت بتناوله، حتى ألقت به في وجهه الصغير، وهي تصرخ:

ـ «قلت لك مئات المرات: أحب اللحم قطعًا صغيرة، وليست كبيرة، أيها الغبي!»
حاول أن يدافع عن نفسه أمام بطش يديها وقدميها، لكنه فشل، كما فشل أن يعد طعامًا يرضيها يومًا ما.

***

تلفتت حولها بذعر؛ تتأكد أن أحدًا لم يتبعها وسط تلك الصحراء المترامية أمامها. وجهها المغطى بالخدوش، وملابسها الممزقة، بالإضافة إلى قدميها المدماتين؛ كل هذا كان سببًا في ترنحها وعدم تمييزها. هل ما تراه أمامها طريق؟ أم أنه سراب فرضه عليها ذهنها المشوش؟ توجهت نحو محطة الوقود الواقعة على قارعة

الطريق، وهي تحث وعيها على الصمود. ولكن ما إن لمست قدماها أرضًا ناعمة، حتى تهاوت كل ذرات المقاومة بداخلها.

***

- «أنتِ لا تريدين عودتها، أليس كذلك؟»

ألقى الجملة في وجل، وهو يتأمل ملامحها الجامدة. وحين يئس من استجابتها بعد ثلاثة أيام من المحاولة، تحرك ببطء نحو باب غرفتها بالمشفى، حيث مفتش المباحث الذي يرافقه كلما ولج إلى حجرتها.

- «هل تظنها بخير؟»

التفت بسرعة فرحًا بهذا التقدم، وهو يجيب بنبرة عميقة هادئة:

- «أتمنى أن تكون كذلك، ولكن عليكِ أن تساعدينا إذا كنتِ تريدين عودتها»

دموع عينيها كانت أكبر دليل على ما تعانيه بداخلها. حاول أن يبثها قليلًا من الطمأنينة؛ علها تتجاوب معه، فتُخرج تفاصيل من شأنها أن تنقذ حياة صديقتها. اقترب منها، وجلس على طرف الفراش، في حين وقف المفتش على نهايته بدون أي كلمة؛ كانت تلك تعليمات الطبيب له، التي أكدها على مسامعه مئات المرات.

- «لقد زال الخطر عنكِ. أنتِ بأمان الآن، يا سارة.. لن يستطيع أحد أن يؤذيك»

حرّكت رأسها بعشوائية، وهى تفرك كفيها بتوتر. كانت رقيقة؛ عينان بنيتان واسعتان تنطقان بخوف غير محدود، فم دقيق تزينه شفتان ترتعشان بتوتر، شعرها الأسود القصير المنسدل بعشوائية على رقبتها.

طال صمتها حتى ظن أنها لن تتحدث، ولكنها خيبت ظنونه، قائلة:

- «كيف أساعدها؟»

- «تحدثي معي.. ماذا حدث؟ وكيف عَثر عليكما؟ كيف هربتِ منه؟ قُصّي عليّ ما حدث من البداية»

بدا أنها تستجمع قواها، في حين شغّل هو مسجلًا صغيراً كان في جيبه:

ـ «لقد كنا في طريق العودة من الجامعة. كان الوقت قرابة المغرب، حين أشرنا إلى سيارة أجرة؛ لتقلنا حيث سكن الطالبات المغتربا. كانت ريم منهكة للغاية، و...»

ركّزت ببصرها على نقطة ما على الحائط، بدت أنها تأخذها حيث آخر ذكرياتها مع صديقاتها.

..*

ـ «حين نعود إلى البيت، سآوي إلى الفراش. لا أريد أي شيء سوى النوم»

ـ «أتضورُ جوعًا.. على استعداد تام لألتهمك كاملة دون أن يتبقى منكِ أي شيء»

تدخل سائق السيارة حينها في الحديث، كما هي عادة معظم سائقي الأجرة، وسألنا عن دراستنا، ومن أي المدن نحن، وإن كنا أقارب أم أصدقاء.

اندمجتُ في الحديث معه، حتى تناسيتُ تلك النائمة على كتفي.

قاطع حديثها وهو يسألها:

ـ «هل تستطيعين وصفه؟»

ـ «لا أدري.. لقد مر وقت طويل، و...»

هنا تحدث المفتش، وهو يقترب أكثر من الفراش:

ـ «دعي عنكِ وصف السائق الآن. كل ما يهمنا، هو ذلك الرجل الذي كان يحتجزكما»

نظرت له بتوتر، كأنها لأول مرة تنتبه إلى وجوده. واستدعى الأمر أن يُعرّف نفسه:

ـ «أنا الرائد (محمد جلال الدين)، من المباحث الجنائية»

واستطرد:

ـ «هيا، أكملي، ماذا حدث بعد ذلك!؟»

استأنفت حديثها:

ـ «بعدها توقف في منطقة شبة خالية من البشر، وهجم علينا ثلاثة رجال من الناحيتين، بالإضافة إلى السائق، وحقنونا بمخدر ما، ولم أعِ بعدها شيئًا إلا هناك، في ذلك المكان. كنا مقيدتين إلى عامود ضخم، و...»

* * *

بدأت الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا. يداها مقيدتان خلف ظهرها، وقدماها لا تكادان تصلان إلى الأرض، رباطٌ حول عنقها يضيق أنفاسها. دارت ببصرها تبحث عن رفيقتها، وجدتها مقيدة بشكل مشابه لها على يمينها، بالإضافة إلى فتاتين أخريين في مواجهتها. شعرت ببعض البرد يتسلل إلى عظامها، فوجدت أنهم جردوها من ملابسها، وألبسوها ثيابًا خفيفة زرقاء تشبه ثياب المستشفيات، وكذلك فعلوا مع كل الأجساد المعلقة بجوارها. المكان فسيح قذر مظلم، إلا من ضوء يتسلل من غرفة جانبية، خافت أن تنادي على رفيقتها فينتبهوا إلى استفاقتها. كان هناك حديث دائر خلف دائرة الضوء القريبة، فأرهفت السمع؛ لربما توصلت لشيء يخرجها مما هي فيه. يبدو أنهم يُقسّمون غنيمةً ما. كان رأسها يدور بشدة، لكن نبرات الصوت زادت كثيرا، وأحد الرجال يقول:

ـ «قلت لك هما اثنتان فقط، الأخريان من نصيبي. وهذا كان اتفاقنا من قبل»

ـ «أرجوك فقط دعنا نجري لهما بعض التحاليل الطبية، ونقرر من سنأخذ»

ـ «ستأخذ فقط من أقول لك أن تأخذها. إن اقتربتُ من فتياتي سأعلق رأسك بجوارهن»

اقتربت خطوات أقدامهما، فأغمضت عينيها بهلع، وهي تدعو الله في سرها.

شعرت بوجودهما بجوارها، ولكن لم يمسها أحد. وعندما ابتعدا، فتحت عينيها، فوجدت (ريم) مازالت معلقة إلى جوارها، حمدت الله أنهما لم يفترقا، مهما كان

المصير الذي ينتظرهما، يكفيها أن تتشاركا فيه. وعلى حين غرة من تفكيرها، وجدت من يحل قيود عنقها، ويحملها، فصرخت بأعلى صوتها، وهي تضرب بيديها، لكنه لم يعبأ بصراخها، ثم دخل بها إلى الغرفة الجانبية، أجلسها إلى كرسي، وقيدها بقوة وسط محاولاتها اليائسة للحصول على حريتها. أتى بصديقتها إلى كرسي بجوارها، فسألته من بين دموعها:

ـ «ماذا تريد؟ أرجوك، اتركنا نرحل، أتوسل إليك»

لكنه لم يجبها، فتأملت الغرفة من خلف غشاوة عينيها. كانت هناك منضدة وسط الغرفة، دماء تلوث الأرض، والحائط يحوي أرففًا خشبية فوقها صناديق صغيرةز نادت على رفيقتها، ولكن بدون فائدة. خافت أن يكون أصابها مكروه جراء المخدر.

كان الخوف يُغلّف جسدها المقيد، والفزع هو الدماء التي تضخها عروقها، أما الاشمئزاز فقد سيطر على شرارات عقلها المرهق. ظلت تدعو في سرها، وهي تنادي عليه تارة، وعلى توأم عمرها مرات، حتى استجابت أخيراً. تشاركتا ساعات الألم والخوف، حاولتا أن تحلا قيودهما، ولكن الفشل كان ثالثهما. تساءلتا عن مصيريهما، ولكن الجهل رفرف فوق رأسيهما ليمطرهما بمرارة الانتظار لمصير ربما يكون أسوأ من الموت.

أرخت (سارة) رأسها بيأس، في حين ابتسمت (ريم) بمرارة، تحولت بعد قليل إلى ضحك هستيري، حتى ظنّ ت رفيقتها أنها جنت تمامًا، وسألتها في تعجب عن سبب ضحكها، فأجابت وقد بدأت دموع الضحك الهستيري تتجمع في عينيها:
ـ « لقد قال حظي صباحًا أنني سأحظى بيوم عصيب، فاعتقدتُ أن يوم الجامعة المرهق كان هو اليوم العصيب، ولكنني لم أعتقد أبدًا أن يكون أنني سألتقي بعصابة تريد قتلي وبيع أعضائي!»

فيما تحول ضحكها إلى بكاء ونحيب، لم تعرف (سارة) بما تجيبها، فآثرت الصمت، وبدأت تتساءل هل يَصدُق الشيء الذي آمنت به صديقتها طوال حياتها، واعتقدت فيه حتى أصبح هوسًا بالنسبة لها، فيما اعتقدت هي أنه خرافات

محضة!؟ عاد محتجزهما بعد سويعات قلائل بدت لهما دهرًا، فبدأت (ريم) الحديث، وهى تترجاه أن يطلق سراحيهما، لكنه لم يلتفت إليها، واتجه إلى صندوق ضخم، وما إن فتحه حتى تصاعدت رائحة عفنة أثارت عصارة معدتيهما الفارغتين، ثم أخرج جثة، ووضعها على المائدة، ووضع بجوارها سكينًا ضخمًا. اتجه إلى (ريم)، ثم حل وثاقها، وهو يأمرها بأن تُقطّع جثة الفتاة الموضوعة أمامها. كانت تبكي بقهر، لكنه هددها إن لم تفعل ما أمرها سيقتل صديقتها. نظرت إلى (سارة) نظرة مطولة، وحبست الدموع في عينيها، ثم بدأت تقطع فيها بقوة. كان هو موجهًا سلاحه إلى سارة طوال الوقت. بدا أنه ينتشي بقهرهما. حين فرغت من عملها سقطت مغشيًا عليها، فحملها بهدوء، ووضعها فوق المائدة، بعد أن أزاح الأشلاء المتناثرة، فتوسلت إليه (سارة) ألا يؤذيها، لكنه اقترب منها، ومسح دموعها بيديه، ثم ربت على رأسها، قائلًا:

ـ «هل تعلمين أنك تشبيهنها كثيراً؟ سارة، أليس كذلك؟»

أوأمات برأسها دون رد.

ـ «منذُ أن رأيتُ صورتك التي أرسلتْها لي ريم، وأنا أنتظر هذه اللحظة بشغف. كم أنا سعيد الحظ! فولعها بالأبراج هو ما أتى بكما إلى هنا. أتعلمين؟ لم أرد أن يأخذك أولئك الأوغاد. كانوا سينتزعون أعضاءك عضوًا تلو الآخر، ولن يهتموا بجسدك هذا بعد ذلك»

أكمل، وهو يتحسس قسمات وجهها:

ـ «يا إلهي! أنتِ تشبهينها كثيراً»

سرت قشعريرة في جسدها، وهي تسأله:

ـ «من تكون؟»

ـ «أمي»

اكتفى بهذا الرد المقتضب، وهو يتأملها. لقد كان تفكيرها منصبّا على أنه خدع (ريم)، وأنه تابع لعصابة سرقة أعضاء، لكنه ليس كذلك، ربما يعاونهم بطريقة أو بأخرى. إنه مجنون، وسيقتلها ورفيقتها بطريقته الخاصة!

ـ «من المؤكد أنكِ جائعة.. سأحضر لكِ طعامًا»

تحرك إلى الخارج، قبل أن يستمع إلى ردها، ثم عاد بطعام، وهو يقول بمرح يتنافى مع الموقف، والمكان، والعلاقة التي تربطهما:

ـ «سأطعمك بيدي.. هيا»

رفضت، وحركت رأسها؛ عله يبعد يديه، لكنه أمسك وجهها، وفتح فمها عنوة، ثم شرع في حشو الطعام فيه، وهي تهمهم، لا تريد إغضابه، لكن يده كانت تحمل من رائحة عفونة الجثة، مما جعلها تلقي بمحتويات فمها باشمئزاز.

ـ «أنتِ لا تدركين مصلحتك.. ستمرضين إن لم تأكلي!»

كاد أن يعيد الكرة، لكن صوتًا في الخارج أوقفه، فترك ما بيده وخرج. يبدو أن هناك شخصًا ما بالخارج يحادثه. ظلت تصرخ بالنجدة، حتى بُحّ صوتها، ولكن ما من مجيب، حتى محتجزها تركها ورحل.

لم تدرِ كم من الوقت ظلت نائمة، ولكنها حين استيقظت، كانت تتمنى أن تجد كل ما سبق كابوسًا، لذا بكت بقهر حين وجدت نفسَها مقيدةً إلى ذات الكرسي اللعين. (ريم) على المنضدة، مستيقظة تهمهم بكلمات غير مسموعة. نادت عليها، فأجابتها مباشرة:

ـ «سيقتلني، ويضعني بداخل ذلك الصندوق، وبعدها سيجعلكِ تُقطّعينني كما فعلتُ أنا في تلك الفتاة»

ـ «لا.. لا، لن يفعل. لن أتركه يقتلك. سنخرج من هنا، أعدك. سأبذل كل جهدي لنخرج من هنا»

- «سارة، انظري حولك.. ليس هناك أي أمل في خروجي من هنا. إذا كنتُ سأموت فلا تجعلي الأمر صعباً علي؛ فهو صعب بما يكفي»

تشبثتْ بيأسها، كأنها ترى الموت يحوم فوقها بجناحيه، وهو يبتسم بسخرية، منتظراً لحظة اقتناصها.

عاد بعد قليل، واتجه نحو (سارة)، وهو يبتسم كطفل عاد للتو من مدرسته، ليجد والدته تنتظره.

- «كيف حالك؟ اشتقت إليك»

- «أرجوك، دعنا نرحل، أرجوك»

بكت بوجع، لكنه جاوبها بضيق.

- «لن أتركِكِ.. لن أدعكِ ترحلين مرة أخرى»

- «حسنًا، دع ريم ترحل، وأنا سأبقى معك»

- «لا، لا، لا.. إنها ستؤذيكِ إذا تركتُها! إنها شيطانة، ألا ترين أنها كذلك!؟»

كانتا تبكيان، وهما ترجوانه، في حين علت صرخات (سارة)، حين توجه نحو (ريم)، وهو يُخرج من جيبه محقناً غرسه في عروقها، حتى هدأت تمامًا.

غرق وجهها بالكامل تحت أنهار دموعها، في حين اتجه هو إلى الخارج، ونظرها مُثبّت على صديقة عمرها، ثم تحولت إلى صراخ جنوني، وهي تتوعده بأغلظ التهديدات، لكنها كانت تتحدث إلى هواء الغرفة المعبأ بصورة صديقتها الراحلة.

* * *

تحولت دموعها إلى صرخات حين وصلت إلى هذا الجزء من قصتها، مما اضطر الطبيب إلى أن يعطيها مهدئًا، جعلها تخلد إلى النوم. خرج هو بصحبة المحقق، وسأله الأخير:

- «كيف لم تتذكر وفاة صديقتها!؟»

أجابه أن الصدمة أخفت الذكريات البعيدة، وكانت تتذكرها كلما تعمقت في الحديث. كاد المحقق أن يرحل، لكنه استوقفه ليسأله؛ هل كان فيما قصّت شيء مفيد له، يجعله يصل إلى المجرم؟

تهللت أساريره، وهو يجيبه بالإيجاب؛ فسيحاول أن يحصر المكان الذي عُثر عليها فيه مع وصفها للمكان، حتى يصل إليه، ويأمل أن يجده هناك. ثم تركه ورحل. توجه الطبيب نحو غرفته، وهو يحمل في نفسه شفقةً لا تنتهي تجاهها، وتساؤل جنوني يجوب عقله:

ـ «كيف تحملت وجودها معه لمدة ثلاثة أشهر!؟»

في المساء، تلقى اتصالًا من المحقق ينبؤه أنه عثر على المكان محطمًا بالكامل، كما عثر على جثة الجاني، وقد تلقى رصاصات حولته إلى مصفاة بشرية. وعثر على جثث لخمس فتيات في الصندوق الذي وصفته (سارة)، وأنه يعزي قتله إلى عصابة سرقة الأعضاء، وسيأتي في الغد حتى يكمل تحقيقه.

بعد ثلاثة أيام، دلف الطبيب لغرفتها، فوجدها مستيقظة. وبعد أن اطمأن على صحتها النفسية، وجد أنه الوقت المناسب ليخبرها بوفاة الجاني، الذي أدلت بمواصفاته سابقًا، فأشاحت بوجهها عنه، وهي تسأل عن موعد خروجها من المشفى.

تأملها بأسى، وهو يُوقّع إذن خروجها. أخذت حقيبتها الصغيرة، واتجهت إلى محطة القطار، حيث القطار الذي اعتادت استقلاله بصحبة (ريم)، عائدة إلى مدينتها.

توجهت إلى مقاعد الانتظار. ظلت تجوبها بعينيها بدموع متحجرة، وخطى كسيرة. جرجرت ساقيها حيث أحد المقاعد، وهي تُطوّق حقيبتها الصغيرة بذراعيها، كأنها تحتمي بها من حشود البشر. وما إن لمست تلك اليد كتفيها، حتى انتفضت بارتياع، إلى أن وقع بصرها على الجالس بالجوار، فَسَرَت السكينة في عروقها، وألقت جسدها الضئيل بين ذراعيه، قائلة في لهفة:

ـ «لقد اشتقتُ إليك كثيراً! كدتُ أموت هلعًا وأنا معهم!»

ـ «لا تقلقي صغيرتي. لقد كنتُ بقربكِ دائمًا. قولي لي، هل سار كل شيء على ما يرام؟»

ـ «بل أجبني أنت أولًازز هل اقتعنت المنظمة أنك ميت!؟»

ـ «نعم، لقد اقتنعوا بمجرد مرأى الشرطة تطوق المكان. كان يجب أن أتخلص منهم، ومن استغلالهم لي. وماذا عن الشرطة؟»

ـ «لقد أدليتُ بكل التفاصيل التي قلتَها لي عن ذلك الرجل الذي قتلته هناك، وقد اقتنعوا أنه أنت»

تنهدتْ بسعادة، وهي تضع رأسها على كتفه بغرام:

ـ «وأ خيراً سنعيش سويا، بعيدًا عن كل الناس، وعن أي شيء يقلق حياتنا. لو تعلم كيف مضى الأسبوع المنصرم عليّ! لقد كنتُ أعيش في عذاب! لا تعلم كيف أعشقك يا قرة عيني! أنت كل شيء في حياتي»

ـ «بل أنتِ الحياة بالنسبة لي. هل تعلمين كم من الوقت احتجتُ حتى أجدك؟ كم من الوقت انتظرتُ حتى تقتنعي بحبي لك؟»

ـ «لقد اقتنعت، وآمنت، وصدقت، وأنا الآن ملك يديك»

قطع لهيب كلماتهما صوت القطار، معلنًا وصوله إلى المحطة، فتشابكت أيديهما انطلاقًا إلى مدينة جديدة، وإلى مرحلة جديدة من حياتهما، إلى ضحايا جدد من الباحثين عن حظوظهم اليومية على شبكات التواصل التي ستقطعهم حتمًا عن العالم!

⭑ تمت بحمد الله ⭑



طريق الهلاك

بقلم: خالد حمدي

جروب #مشاعر_غالية

استيقظ (نادر) دفعةً واحدة يحمل وجهه ملامح سعادة لا يعرف ما كُنهها.

فطِن لذلك الحلم الجميل الذي عاشه في كامل سعادته؛ رأى نفسه يرتدي بزّة مغزولة بخيوط ذهبية براقة، يسير فوق بساطٍ مخملي أسود اللون، تتمايل أهداب خيوطه بفعل الرياح الخفيفة، بينما افترشت الأرض من أمامه بورود وزهور فيحاء، تنتظره هناك فتاتان ملساتان، تملكان قدّين ناعمين، وتحملان وجهين ساحرين، تقف الأولى يسارًا تشير بيدها له إشارة ملكية تحمل كل توقير وتفخيم له، خاصةً مع تلك الانحناءة التي أدتها بجذعها، وأما الثانية فوقفت يمينًا تمسك بيدها دورقًا بلّاً وريًا داخله سائل أبيض اللون يبدو أنه لبن لم يتغير طعمه. تقدَّم على ذلك البساط يسير بخطواتٍ متئدة يرتكز فيها على كعبيه ويكأنه طاووس منتفش الريش. وقف على مقربة من حاملة اللبن، وأمسك بالدورق ورفعه؛ ليرتشف منه حتى ملأ معدته وارتوى، ولما عاد بالدورق إليها ابتسمت له وتراجعت إلى الوراء حتى اختفت، ليجد نفسه فجأة داخل قصر منيف، و..... واستيقظ!

نفض الغطاء المخملي من على قدميه برفق؛ حتى لا يوقظ زوجته، وقام متثائبا في كسل، استدار يتطلع لملامحها النديّة، وتذكر ملامح الفتاتين، فاختلج قلبه وشعر بانقباض يعتصر صدره. لم يكن نادر من هؤلاء الذين يؤمنون بالأبراج الفلكية وقائمة حظك اليوم، ولكنه وبعد أن قابل (ريتال)، تلك الفتاة الغريبة التي جاءت لتكون جارته بالعمل، وقد بدأت تتغير عقيدته في هذا الشأن! أخبرته يومًا بينما كانا يتحدثان أنه محظوظ؛ لأن مولده كان يوم خسوف القمر الكليّ الذي جاء بمنتصف شهر يونيو من عام 1985، وهذا سيضعه في مصاف المحظوظين بهذه الدنيا؛ فصفات برج مولده تقول هذا، لم يدر نادر لماذا صدقها، بل واعتبر أن كلامها مؤكد، غير أنه اعتبره بمثابة بطاقة مرور لعالم السعادة الذي يبحث عنه. هل لثقتها الزائدة؟ هل لشعوره بأن أحلامه باتت طوع بنانه؟ لم يدر حقًا، ولم يكن لديه سوى أن يسلم إليها عقله ويصدقها! بدأ يقرأ عن صفات الجوزاء، وكلّما تعمق في القراءة كلما توترت ملامح وجهه، من فرط السعادة؛ لما وجده

متوافقًا مع شخصيته؛ فكأنما بهذا التوافق قد حيزت له الدنيا بحذافيرها! كان يظنه هراء فصدّقه. كان يظنه خبل فآمن به. أسرع (نادر) بارتداء ملابسه في عجالة، يسابق الزمن حتى يبتاع صحف الصباح؛ ليعلم ماذا يحمل له حظه اليوم. اشترى ثلاث جرائد قومية، وسرعان ما توجّه لصفحة (حظك اليوم). الغريب في الأمر أن جريدتين منها لم تكتبا عن (الجوزاء) على عكس الجريدة الثالثة!

« بساط الأحلام لا يسير دومًا نحو النجاة، وليس كل ما يلمع ذهبًا كن بسيطًا، وحذار أن تشرب ما يقدمه الأغراب لك»

قرأها ثلاث مراتٍ، وفي كل مرة يزداد توتره. تعجب لهذه الكلمات التي تَناقَض مضمونها كليةً وجزئيةً مع معاني حلمه الجميل، فلم يكن منه سوى أن استكمل طريقه إلى العمل في صمت تام. وصل إلى عمله في وجلٍ، بدأ كمستصغر الشرر، ثم زاد حتى أصبح نيرًانا عظيمة. لم يهنأ ببداية اليوم كعادته، فلم يرد تحيةً ألقيت عليه، ولم ينظر لأحدهم، حتى حينما قام (إبراهيم الساعي) بإلقاء السلام بمرحه المعتاد، نظر (نادر) إليه في وجوم، ثم استدار ولم ينبس ببنت شفة.

كانت الكلمات تتردد في ذهنه:

«بساط الأحلام لا يسير دومًا نحو النجاة، وليس كل ما يلمع ذهبًا كن بسيطًا، وحذار أن تشرب ما يقدمه الأغراب لك»

ـ «يا لحظي التعس! أي مصير حالك سينتهي إليه أمري!؟ أي طريـ...»

ـ «ماذا بك يا نادر!؟ يبدو عليك الوجوم. لعلها كانت ليلة هانئة!»

كانت هذه (ريتال) تقطع استرسال أفكاره بإطلاقها تلك الجملة في هدوء، رفع رأسه نحوها في قلقٍ تام، ثم أجابها حائرًا:

ـ «لستُ أدري.. هناك من الأمر ما عكّر صفو صباحي، رغم حالة السعادة التي انتابتني بعد حلم الأمس!»

نظرت في عينيه مستفسرة، وما لبثت حتى سألته:

- «وماذا كان حلم الأمس؟»

تنهد تنهيدة قوية، وأعقبها بزفرة ود لو استطاع أن يُخرج معها كل توتره، فأجابها دونما تختفي نظرة الوجوم من على وجهه:

- «حلم جميل للغاية، به فتاتان جميلتان، ولباس ذهبي، وشراب مذاقه ممتع، وقصر منيف وحديقة غنّاء مزدهرة، ثم استيقظت وأنا أحمل بين طيات جوفي سعادة غامرة لا توصف»

قامت من مكتبها، ودارت من حوله، ثم تقدمت لتجلس أمامه على مكتبه، وبلهجة حذرة ألقت سؤالها الثاني في كلمة واحدة:

- «ثم؟»

ابتسم في فتور، وعاد بظهر مقعده إلى الوراء، بينما شبّك كفيه من خلف رأسه، وكأنما يسترجع تفاصيل حلمه، ثم أجاب سؤالها بلهجة حزينة، قائلًا:

- «ثم ابتعتُ صحف اليوم، وقرأت عامود (حظك اليوم). ما هالني هو عدم وجود مكان لبرج الجوزاء في صحيفتين، بينما في الثالثة وجدتُ شيئا عجيباَ...» انتبهت لجملته، فظهر شبح ابتسامة على ركن ثغرها، سرعان ما اختفى دون أن يلمحه. رسمت ملامح الجدية على محياها، وسألته مجددًا:

- «ماذا قرأت بتلك الصحيفة إذن؟»

- «كلام غريب»

- «وماذا كان؟»

- «يمكنكِ مطالعته»

- «اتله على مسامعي»

اعتدل في هدوء، ثم فتح تلك الصحيفة، وتلا على مسامعها ما قرأه آنفًا.

- «هل تثق بي؟»

أطلقت سؤالها بغتة، وفي هدوء بدا له مقلقًا إلى حد كبير. تنحنح وحاول تغيير دفة الحوار لاتجاه آخر، إلا أن نظراتها الثاقبة وقفت الحيلولة دون ذلك. وقتذاك شعر بأن هناك شيئًا غريبًا يجثم فوق صدره. نظر إلى ملامحها، وكأنه يراها لأول مرة! كانت تبدو كالمشعوذات بحق؛ ذلك الكحل الثقيل الذي حلَّق حول عينيها، شعرها الأسود الفاحم المتبعثر دون اكتراث، رداؤها القاتم، وذلك القرط اللامع بأنفها!

«يا إلهي! هذه مشعوذة بحق!»، هكذا حدّث نفسه.

وكأنها سمعت حديث عقله، فابتسمت ابتسامة اتسعت فيها حدقتاها، وظهرت أسنانها المتراصة البيضاء، فاشتعل جوفه رهبةً وخوفًا لمنظرها. لم يستطع التفوه بكلمة واحدة، وتسارعت تلك الذكريات الحديثة بعقله.

تذكّر أول لقاء جمع بينهما في العمل، وتلك الهالة المشعة التي كانت حولها. كانت تبدو كنجمة ساطعة سقطت من السماء ليتلقفها هو على راحتيه. ورغم هذا الضي المنبعث منها، ورغم هذه اللباقة والثقافة اللتين ظهرتا عليها، ظل هناك أمر مبهم يكتنف مشاعره. كانت تتحدث معه بشكل تلقائي محبب لأي رجل، خاصةً بدلالها ورقتها المتناهيين، كانت تحدثه بنبرة أقرب إلى الهمس. استطاعت خلال فترة وجيزة أن تفنّد شخصيته، وتحللها بدقة أعجزته، بل أصابته بالحيرة، لاسيما لمقدرتها المدهشة على التنبؤ، فتكهنت بعدة أمور حدثت له بالفعل؛ فلطالما أخبرته بها، وصدقَت تمامًا نبوءتها!

تنبأت بترقيته، فتمت. تنبأت بحمل زوجته، فتم. تنبأت له السعادة، وها هو يعيشها. صارت تيمته وأيقونته التي يعتمد عليها. استطاعت في تلك الفترة القصيرة تغيير نمط حياته، بل وتغيير أسلوبه!

(نادر) شخصية هادئة طموحة، يحيا حياة مستقرة مع زوجته. لم يكن يومًا متملقًا أو باحثًا عن منصب أو سلطان، لكنه اليوم أصبح مختلفًا؛ لقد تشرّس وكشّر عن أنيابه، لقد تمكنت بحديثها إقناعه بضرورة التغيير حتى يستمتع

بحياته، ويشعر بمعنى السعادة الحقيقية، فكان لزامًا عليه أن يسير في طريقها المعتم.

كفر بمبادئه، أهمل صلاته وعبادته، استحلّ ما حرّمه الله. ومع تدفق الأموال التي اكتسبها بالتزوير وسبل أخرى، أيقن أن السعادة أخيراً ستطرق بابه، وتفتح له ذراعيها، فَنُسّيَ أن لكل بداية نهاية، وأن طريق الشر لن يستقيم، فحاد عن الحق، وسار بدرب الشر، بل وأصرّ عليه واستكبر استكبارًا.

(ريتال) فتاة مشاكسة نارية، بها طاقة لا تنضب وحيوية تُسقِطهم في غزْلها، كانت غريبة الأطوار، تفعل كل أفعال المنجمين من قراءة طالع، وفتح المندل، وقراءة الفنجان، حتى لعب أوراق التاروت! أي ثقافة تلك التي تجيدها!؟ وأي شر عظيم هذا الذي يختفي تحت قناع براءتها المزيفة!؟

فجأة انتبه (نادر) لبعض التفاصيل، والتي قد غابت عن.! هناك ثمة سؤال قفز بخلده فجأة فجّر داخله براكين الخوف. لماذا طوال تلك الفترة التي قضتها معه لم يجتمع المدير بهما؟ لماذا لا يجتمع ثلاثتهم!؟ نظر إليها في قلقٍ بات واضحًا، فوجدها على وضعها الآنف، تنظر إليه وعلى ثغرها ابتسامة لم ترق له. اعتدل في جلسته، ثم قام يدور حول مكتبه ينظر لباب الغرفة، ولتلك الخطوات الثلاث التي تفصله عنه، فشعر وكأنها ثلاثة أميال لا ثلاث خطوات. أخذ قراره بالخروج فوراً، وبـ...

ـ «أظنك لن تستطيع الوصول إليه»

انتفض في عنف عقب جملتها التي أطلقتها من مكانها، الأمر الذي أصابه بحالة من الذهول. تحشرج صوته وسعل ثلاثة مرات، وهو يقول مترددًا في خوف:

ـ «أنـ.. أنت تقر.. تقرئين الأفكار!؟»

سمع صوت ضحكتها الرنانة، ويكأنه يخرج من جوف الجحيم، فأعقبتها بجملة لصقته بالأرض، وأثقلت لسانه، فشعر بذلك الشعور المرير الذي يصيبك أثناء

الكوابيس، تريد الركض فلا تتحرك قدمك قيد أنملة، تتمنى أن تطلق صرخة مدوية، فيعجز لسانك، وتعجز حنجرتك على فعلها.

ـ «أنا لا أقرأها فحسب؛ بل أصنعها وأطورها، وأزرعها وأمحيها»

حاول (نادر) أن يصرخ بالفعل، لكن لم يجد العزم الكافي لفعلها؛ هناك ثمة شلل أصاب جسده كاملًا، عيناه زائغتان، أنفاسه متلاحقة، ضربات قلبه تكاد من سرعتها تفتك به، غير تلك النغزة التي أصابته. رفع عينيه نحوها فوجدها هادئة تضع ساقًا على ساق، لكن سرعان ما شعر ببعض الارتخاء في جسده، وانتظمت أنفاسه، فعاد مجددًا بعد ما أخذ شهيقًا، وأطلق السؤال الأزلي:

ـ «مَن أنتِ؟»

ـ «أنا كائن كمثلك»

استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وتمتم البسملة في خفوت تحت نظراتها الفاحصة، وابتسامتها المخيفة، ليستطرد مرة أخرى، ويطلق سؤالًا آخر، بتوتر تام:

ـ «ماذا تقصدين بكلمة كائن؟»

أجابته في هدوء:

ـ «كائن حي، ربما خُلِق من مادة أخرى غير الطين، ولكنني بالأخير أحيا معكم، وأتحدث إليكم، وأصنع أحلامكم»

زادت حدة توتره، فقال في عصبية:

ـ «أي هراء هذا الذي تخبريني به!؟ أراكِ تشيرين إلى معنى مخيف في حديثك العبثي هذا!»

رفعت ساقها وأنزلتها أرضًا، لتميل بجذعها إلى الأمام وتزوي ما بين حاجبيها، لتقول له:

ـ «ليس عبثيَا يا هذا! أنا من صنعت كل مجدك منذ أن استمعتَ إليّ وإلى الآن. لقد ربحتَ المال، وربما تلد زوجتك ابنًا لكما، وها أنت ارتقيت بعض المناصب.. نعم زوّرتَ واختلست، كذبتَ وتملّقت، ولكنك بالأخير صنعت مجدك وسعادتك دون أن تلتفت للجرم الذي ارتكبته!»

في لهجة أراد أن تكون قوية، قال:

ـ «لن تخيفيني بتلك الترهات. لقد استعملتُ ذكائي وطموحي من أجل كل هذا، ولن أتنازل عن أحلامي لمجرد أنك تريدين أن تلقيني بوهمك وكذبك في دائرة الضياع، وسأثبت لك هذا!»

ثم استدار في قوة يعزم الخروج من باب مكتبه، ولكنها كانت الصاعقة؛ فلم يكن هناك باب، ولم يجد مكتبَا بالأساس. بل كان في ساحة واسعة بها زهور وورود. هناك رأى الفتاتين، ذات الانحناءة، وذات الدورق، بينما يمتد البساط من أمامه. لكن المشهد كان مختلفًا؛ فالبساط كان كالجمر الملتهب، والفتاتان كانتا مخيفتين، خاصةً بتلك القرون النارية التي اعتلت رأسيهما! الأولى كانت تفسح له الطريق نحو هوة تتقاذف منها النيران، والثانية تحمل دورقًا به دماء تفور. لم يستطع تحمل المشهد الذي رآه رؤيا العين، فأغمض عينيه، وظل يصرخ ويصرخ، وعندما فتح عينيه، وجد نفسه قد عاد إلى مكتبه، لكن لم يرها تجلس أمامه! دار بجسده يبحث عنها فلم يفلح هذا. فجأة سمع رطنًا مخيفًا، وهمهمات جحيمة، وكلمات قذفت الرعب بقلبه، رفع رأسه في وجلٍ لأعلى فوجدها ممسوخة! تحول وجهها الجميل إلى وجه شيطان رجيم! كانت تنبش بأظافر يديها وقدميها سقف مكتبه بينما هناك ما يشبه الذنَب أو الذيل يخرج ويمتد من ظهرها، ويتلوّى في منظر يُجمّد الدماء بالعروق. كانت تنظر إليه بعينين ملتهبتين تطلقان شررًا. لم يكن قلبه ليتحمل هذا، فاستدار، وأسرع نحو باب مكتبه، أمسك مقبضه وأداره وفتحه بقوة، أو هكذا خُيّل إليه؛ فبقوة خفية شعر بجسده يرتد للخلف ويطير حتى ارتطم بالحائط، وسقط على وجهه أرضًا. وحينما هم بالوقوف بجسدٍ يئن من

الوجع، وجدها تجلس أمامه في كامل زينتها وبهيئتها الإنسية، وبنفس هدوئها وابتسامتها. الآن لم يكن هناك مجالٌ سوى للمواجهة، فسألها في ألم:

- «ماذا تريدين مني!؟»

أجابته، وهي تقلّم أظافرها بمبردها:

- «لا شيء سوى وضع النهاية»

عاد القلق يدب بجسده من جديد، وهو يسألها:

- «أي نهاية تقصدين؟»

أجابته بلهجة حاسمة، وبكلمة واحدة، بعد أن نفخت برادة أظافرها:

- «نهايتك!»

ارتجف في هول، فلم تعطه الفرصة للتفكير، واستطردت:

- «لقد ضيّعت الأمانة، واستحللتَ ما حُرِّم عليك، وربما كنت ستَقتُل مستقبلًا في سبيل تحقيق مرادك. الآن الخيار لك.. لقد وشيتُ بك، وقدّمتُ مستندات تدينك وتزج بك في السجن مدى الحياة. فإما تنتظر مصيرك هذا، أو أن تكتب أنت نهايتك بيدك»

صمتت لحظات ثم وقفت، وتقدمت نحوه لتدور من خلفه وتضع يدها على كتفه، وتقترب لتهمس في أذنه في خفوت:

- «هل تسمع ذلك النفير؟ إنه نفير سيارة الشرطة.. لقد أتت من أجلك. السجن جدرانه قاتمة، ستشعر معه بالاختناق، لن ترى النور مرة أخرى، ولن ترى الشمس مجددًا. هيا.. هيا يا عزيزي أرح نفسك من عناء هذه الدنيا.. ثمة طلقة واحدة تنهي كل شيء»

ثم التفَّت مرة أخرى، ودارت حول المكتب، وهي تخطو فِي دلال غريب. مدت يدها وأخرجت من حقيبتها التي كانت على مكتبه مسدسًا، ووضعته في يده.

شعر ببرودة ملمسه، هذا الأمر الذي دعاه لرفع ناظريه نحوها. أسبلت عينيها في رقة، وأطلقت ابتسامة ساحرة، لتقول له:

- «هيا يا عزيزي.. هيا»

تذكر حياته، تذكر زوجته وابنه الذي لم ير النور بعد، تذكر عمله وزملاءه، ثم تذكر ذلك الشر الخالص المتمثل فيها. عادت هي للوراء في بطء، بينما أدار (نادر) فوهة المسدس، وأقحمه في فمه، اعتصر عينيه في قوة، وبيد مرتعشة، وإصرارٍ عجيب، أطلق رصاصته، و... وانتهى كل شيء.

تحت طرقات الباب القوية، إثر صوت الرصاصة المدوِّية، اتسعت ابتسامتها أكثر وأكثر، فتقدمت نحو جثته، وأمالت رأسها تنظر لرأسه المتفجرة دون اكتراث. مطَّت شفتيها، ثم سحبت حقيبتها ووضعتها تحت إبطها. وفي اللحظة التي اقتحم العاملون باب مكتبه، كانت قد اختفت تمامًا، بعد أن اخترقت الجدار.

✯ تمت بحمد الله ✯



النظرية الصينية

بقلم: ناصر رمضان

جروب #مشاعر_غالية

دلفت (إيمان البدري) بأقدام مرتعشة إلى داخل مركز التجميل الأشهر والأغلى في مصر. ورغم شجاعة وجرأة (إيمان) التي يشهد لها بها الجميع كصحفية مشاغبة، إلا أنها فوجئت بنفسها ترتعش فعلياً من الرهبة عند دخولها للمركز؛ وهذا لأنها تدخل الآن كعميلة وليس لوجودها سبب بعملها؛ فـ(إيمان)، (الرجل الجميل) كما يدعوها أصدقاؤها المقربون أبدًا، لم يرها أحد يومًا تضع على وجهها أي نوع من أنواع مستحضرات التجميل حتى، كانت دائمًا ما تسخر ممن يطلب منها وضعها وتقول: «إنكم تمارسون الغش والنفاق الاجتماعي!»

أخذت تتنفس بعمق محاولةً السيطرة على نفسها بعد أن راودتها نفسها على الانسحاب، وخطت بسرعة نحو مكتب الاستقبال الفخم وكأنها تقطع الطريق على نفسها في التراجع، قالت لعاملة الاستقبال أن لها حجزاً باسم (إيمان البدري)، فرمتها العاملة بنظرة كمن تقول: «ما هذه الأشكال؟!»

قالت العاملة بابتسامة صفراء بعد أن ألقت نظرة على شاشة الحاسب الآلي: «فعلًا حجزك تم تأكيده.. هل ستدفعين (كاش) أم بالفيزا كارت!؟»

ألقت لها (إيمان) ببطاقة الائتمان بصلف وغرور مماثل ولم ترد. أنهت الموظفة إجراءاتها، ووضعت لـ(إيمان) القلم والشيك لتوقع عليه.

ـ «لعنة الله على صديقتي! وعلى عريسها! وعلى فرحهم كله!»

هكذا تمتمت لنفسها عندما رأت الرقم الذي يمثل راتب ستة شهور!

جلست تنتظر دورها وهي تبتسم، متذكرةً أن اليوم هو حفل زفاف أقرب صديقة لقلبها، وهي تستحق منها مجاملة رقيقة كهذه.

ظلت تتأمل الفخامة من حولها صامتةً، وتمنت لو أخرجت هاتفها لتصور نفسها في هذا المكان الذي يعتبر قِبلةً لكبار سيدات المجتمع أو كريمات المجتمع كما تكتب عنهم في الجريدة، ولكنها لم تنس نظرة الموظفة لها؛ لهذا استدعت في ذهنها كل مظاهر التكبر واللامبالاة، وحاولت أن تظهر نفسها هكذا. لكن، شد انتباهها شابٌ يقف مع موظفة الاستقبال، وكان من الواضح أن الموظفة تحتد

على الشاب بصوت خفيض؛ أما ما لفت نظرها فهو هيئة الشاب التي لا تتناسب أبدً ا مع المكان؛ حيث بدا لها فقيراً جدًا بملابسه البالية، وأيضًا شرسًا جدًا بتلك الجروح الطولية في وجهه. انتبهت له بكل حواسها وقد استثار الموقف حاستها الصحفية، خصوصًا عندما أنهت الموظفة مكالمةً تليفونيةً سريعة، أعقبها أن أخ ذت من الشاب حقيبةً جلديةً صغيرةً منتفخةً، وأعطته مظروفًا توقعت (إيمان) أن به مالًا. قالت في نفسها ساخرة: «هل يتاجرون هنا بالمخدرات؟! أم أن ما أراه هو حلقة من حلقات الكاميرا الخفية؟!»، انتبهت لاتجاه الشاب لباب الخروج.

تذكرت ما قرأته صباحًا عن برج العقرب، والذي أخبرها عن مغامرة صغيرة ستغير حياتها.

كانت تؤمن (إيمان) عميقًا بالأبراج، ويتلون يومها حسب ما تقرؤه صباحًا؛ إن كان مبشرًا استبشرت وتفاءلت، وإ ن كان غير ذلك اكتأبت وعاشت يومها متوقعةً مصيبة ما.

تذكرت ما قاله لها برجها صباحًا، فلم تملك إلا أن تقوم هي الأخرى لتتبع الرجل. وعندما رأت نظرات الموظفة لها قالت: «نسيتُ شيئًا في سيارتي»

هزت الموظفة رأسها في تفهم، خرجت (إيمان) لتجد الشاب يستعد لإدارة دراجة نارية، فتوجهت له سائلة إياه إن كان يعمل هنا، فأجابها أن (نعم)، يعمل هنا، ولكن في المعامل، فبدت الدهشة على (إيمان) وسألته: «أي معامل تقصد!؟»

أجابها: «المعامل التابعة لمركز التجميل هذا»، سألته: «وهل للمراكز تلك معامل!؟»

صمت وظل ينظر لها، فقالت: « أنا بالفعل يغلبني الفضول، فهل تأتي لنجلس معًا في أقرب مقهى، وتحك لي عما تعرفه؟»، أجابها بابتسامة ساخرة، فأخرجت من حقيبتها بعض المال وناولته إياه قائلة: «في نيتي افتتاح مركز تجميل مثل هذا، ولكن لم أكن أعلم أن لهم معامل وأطباءَ، فهلا أفدتني؟»

رد أخيراً وهو يأخذ منها النقود: « وأنا ملك أمرك، عسى أن تجدي لي عملًا عندك»

ابتهجت وأخذته من يده لأقرب مقهى، وغلبتها حاستها الصحفية، ونسيت تمامًا أمر زفاف صديقتها.

أصابتها الحيرة مما سمعته من (عماد)، بعد أن عرّفها بنفسه وباسمه، وأن عمله في المعامل هو مجرد حارس ليلي للمكان من الداخل، أما الخارج فتقوم بحراسته شركة من الشركات المتخصصة في هذا، وأحيانًا يقوم بتوصيل بعض الخامات من المعمل إلى المركز، ودائمًا ما تلومه تلك الموظفة اللعينة على دخوله المركز، وتطالبه بأن يتصل من خارج الباب وسيخرج له أحد الموظفين. هكذا فقط، ولم تحصل على أي معلومة لها قيمة، كانت دائمًا ما تردد أن حاستها الصحفية لا تخيب أبدًا، «ها هي خابت وأصابها العطب هي الأخرى»، هكذا حدثت نفسها، وتذكرت أن (عماد) ذكر لها أن المعمل يصنع كل مستحضراته طبقًا للنظرية الصينية القديمة في العناية بالبشرة، وعندما سألته عن كنه هذة النظرية، أجابها بأنه لا يعلم؛ فهي مرة وحيدة التي سمع هذا المصطلح، وكان كبير أطباء المعمل هو قائله لشخصٍ ما في التليفون.

فتحت حاسبها الآلي المحمول، ودخلت تسأل أعز أصدقائها -كما تسميه- (جوجل)، ظهرتْ لها نتيجة البحث أن: «النظرية الإمبراطورية الصينية القديمة في العناية بالبشرة، تقوم في أساسها على خلط مزيج من الأعشاب بمقادير معينة، وبعدها يتم تذويب تلك الأعشاب في دماء الأطفال دون العاشرة، ليستخدم ذلك المزيج الإمبراطور وزوجته فقط!»

أصابتها الحيرة والهلع مما قرأت، وظلت تُسائل نفسها إذا كان هذا فعلًا يحدث في مصر! شعرت بالمبالغة أن أوصلها تفكيرها لنقطة تصديق هذا الخرف، عندما رن تليفونها لتجد رئيس التحرير يسألها عن تنويه حلقة الأسبوع القادم، والتي من المفترض نزولها مساء اليوم، فلم تتمالك نفسها وأجابت قائلة: «التنويه كالآتي: (ماذا تعلم قارئنا العزيز عن النظرية الإمبراطورية الصينية للعناية بالبشرة؟ وهل تعلم إذا كانت تلك النظرية تُطبّق بالفعل في مراكز التجميل الكبرى في مصر؟)»

سألها رئيس التحرير عن هذا الموضوع الغريب، والذي يبعد تمامًا عن كتاباتها، فقالت له ضاحكة وهي تنهي المكالمة: «هو تغيير يا سيدي، ولكن أعدك بموضوع شيق جدًا».

في المساء وبعد أن انتهى حفل الزفاف لصديقتها المقربة، وافتتان جميع الحضور بـ(إيمان) وبمظهرها الجديد، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يسخروا منها ومن هيأتها الجديدة، اتجهت بسيارتها الصغيرة لمنزلها وتوقفت في الطريق لتشترى الطبعة الأولى من الجريدة -كما تعودت- لتجد التنويه في أسفل الصفحة الأولى، فاتصلت برئيس التحرير لتشكره على أنه نجح في اللحاق بالطبعة الأولى ونشر التنويه. فُتِح الخط على الجانب الآخر لتجد صوتًا لرجلٍ آخر يرد عليها، وبعد سؤالها وسؤال الطرف الآخر، عرفت أن من يرد عليها هو رئيس مباحث العاصمة، وأن رئيس التحرير مقتولٌ في شقته!

جلست مأخوذة لدقائق في سيارتها لا تدري ماذا تفعل، وتزاحمت الأفكار في رأسها، وانسالت دموعها حزنًا على معلمها والداعم الأول لها في الجريدة.

انطلقت بسيارتها لمنزلها لتغير فستان السهرة بملابس أكثر راحة؛ حتى تذهب للقاء رئيس المباحث كما طلب منها. أولجت المفتاح في الباب بمعاناة وهي لا ترى من وسط دموعها، دخلت حجرة نومها مباشرةً دون أن تمر كعادتها كل ليلة على حجرة أخيها التوأم، والذي يعمل مندوب مبيعات في إحدى شركات الأدوية صباحًا، ويسهر مع أصدقائه على كافيه الأندلس في نفس شارعهم.

أبدلت ثيابها سريعًا وخرجت متجهةً لباب الشقة، عندها تذكرت أن ليلةً طويلةً في انتظارها، فانحرفت باتجاه حجرة أخيها وفتحتها ممنيةً نفسها أن تجده لتحكَ له عما مر بها في يومها، وبالفعل وجدته نائمًا، فرفعت عنه الملاءة التي اعتاد أنْ يتغطى بها قائلةً: «......»، بالأحرى لم تقل شيئًا؛ فتَحْتَ الملاءة كان أخوها، وفي منتصف جبهته ثقبٌ بشع من طلقةٍ أطلقتْ عليه من قرب.

انطلقت صرخاتها لتصم آذان كل سكان العقار، صراخات متواصلة، ولم تشعر إلا وكل السكان معها في الحجرة؛ يستطلعون سبب صراخها، لم تسأل متى دخلوا؟

ومن فتح لهم؟ فجأة انتبهت لوجود أكثر من جارة تحتضنها، والبواب يتكلم مع السكان. توقفت صرخاتها فجأة كما بدأت، ألقت على الجمع نظرة غريبة، ثم انطلقت مغادرةً الشقة. انطلقتْ بسيارتها مرة أخرى. لم تدرِ أين تذهب، وماذا تفعل، ولكنها في لحظةٍ ما تيقنت أنها هي المقصودة، وأن القاتل غالباً كان ومازال في الشقة. ابتعدتْ بالسيارة لمدة ربع ساعة، ثم توقفت محاولةً أن تعرف خطوتها القادمة، عندها تذكرت (عماد) الذي قابلته في الصباح، وتذكرت أن معها رقم هاتفه، فاتصلت به متوقعةً خبر قتله هو الآخر، وبعد رنين قصير رد عليها فطلبت منه اللقاء. قال لها أنه هاربٌ ممن يطاردونه لحصوله على مستنداتٍ خطيرةٍ قد تودي بحياته، تيقنت أنها على الطريق الصحيح، فأخذت منه عنوان مَكان إقَامته واتجهت إليه.

في الطريق بدأ ذهنها يصفو، وتيقنت أن من قُتلوا، قُتلوا بسببها وبسبب النظرية الصينية. حاولت أن تتناسى مؤقتًا موت أخيها ومعلمها، صممت أن تنتقم من السفاحين بفضحهم، وبعدها تحزن وتبكي على قتلاها.

أخرجت هاتفها وفتحت تطبيق الفيس بوك، نشرت على صفحتها التي يتابعها الآلاف: [إذا تم قتلي فابحثوا وراء النظرية الإمبراطورية الصينية للعناية بالبشرة].

وأكملت طريقها للقاء (عماد) في تلك المنطقة المهجورة أسفل الطريق الدائري بالهرم. وجدتْه ينتظرها على دراجته النارية، فترجلت من السيارة، سألته عما هناك؟ ومن يطارده؟ فأجابها: «لا أعلم من يطاردني، ولكن أعلم السبب؛ فقد وقعتُ على مستنداتٍ خطيرة»

لم تسأله عن كنه المستندات؛ فمن الظلام خرج خمسة من الرجال الأشداء وأحاطوا بها. حاولت الهرب فلم تستطع، حملوها واتجهوا بها لسيارة تخصهم وانطلقوا بها، فلم تستمر في مقاومتهم. وبعد دقائق قليلة كانت السيارة تدخل لأحد المخازن المهجورة وينزل الجميع، لتجد أمامها رجلًا خمسينياً قاسي الملامح يسألها: «أين الفيلم؟»

- «أي فيلم!؟» هكذا أجابت، فقال الرجل لمن معه: «قَيّدوها»

وأكمل موجهًا حديثه لـ(عماد) الذي وقف مرتعشًا: «أما أنت فدورك انتهى!»

وأخرج مسدسًا صغيراً أطلق منه رصاصةً عليه فأرداه.

قالت (إيمان) بخوف: «أنتم لستم آدميين، وأنا لا أعلم لِمَ كل هذا!!»

أجابها الرجل: «كل هذا بسببك وبسبب فضولك الصحفي السخيف. مالك أنتِ ومال سيدة تذهب للقاء عشيقها!؟ ماذا سيفيد القرّاء من معلومة كهذه؟ صدقيني يا فتاة لم أكره القتل إلا في تلك المهمة التافهة!»

قالت: «عن أي سيدة تتكلم1؟»

قال مجاريًا لها: «لا أحب اللف والدوران. أنتِ صوَّرتِ السيدة حرم (مجدي كامل) وهي تقابل عشيقها في مركز التجميل، وقمتِ بالخروج خلفها من المركز بحجة أنكِ نسيتِ شيئًا في سيارتك. والآن ستعطيني الفيلم وأعدك بموتة مريحة ليس بها تعذيب!»

قالت مصدومة: «حرم (مجدي كامل) الذي...!؟» وصمتت لحظات غير مصدقة أن كل تلك الأحداث سببها لقاءٌ غرامي بين زوجة سياسي مهم وبين عشيقها!

وسألته وقد نهشها الفضول: «وأنتم تتبعون الشرطة السرية أم المخابرات؟»

ابتسم الرجل قائلًا:

«لا هذا ولا ذاك؛ نحن شركة حراسات خاصة، ولكن نقوم بمهمات لا يقدر عليها سوانا. وأنا وإن كنت ضابطًا سابقًا في جهاز أمني، إلا أن كل هذا لا يتبع لأي جهة حكومية. اطمئني! لستِ بالأهمية التي تظنينها في نفسك. والآن الفيلم من فضلك!»

قالت له باسمة: «حسنًا.. أنت قتلتَ رئيس التحرير، وقتلتَ أخي، وقتلتَ هذا الشخص» -مشيرةً لجثة (عماد)- «فقط لتُخفي لقاءَ غراميًا تظن أني كنت أسعى له!؟ ولكنكَ فضحتَهم بلسانك يا سيدي؛ فهاتفي الخلوي الآن يبث لقاءنا هذا بثًا

مباشرًا على موقع الجريدة الإلكتروني! والملايين يروننا الآن.. أظنك في ورطة كبيرة!»

***

اليوم التالي..

جريدة قومية - العنوان الرئيسي:

[إلقاء القبض على الصحفية (إيمان البدري) والضابط السابق (شريف عمر)؛ لبثهما فيديو مفبركًا يسيء لسمعة الوطن]

وبخط صغير:

[تاريخ إيمان البدري الأسود في الإساءة للوطن، وانتماءها لعدة كيانات معادية].

***

بعد يومين..

جريدة قومية - أسفل الصفحة الأولى:

[انتحار الصحفية (إيمان البدري) في محبسها، بعد أن تركت رسالة اعتذار واعتراف بانتمائها للكيان المعادي، هذا نصها: (..............................)].

★ تمت بحمد الله ★



العائدة

بقلم: نادية شمس

جروب #عندما_يبتسم_الجحيم

تناهت إلى مسامعها ترنيمات بصوتٍ غريب وكأن أحدهم ينتحب، ليتبدد سكون الليل وتودِّع هدوءه. بدأ ذلك الصوت هادئًا وعندما تكرر عدة ليالٍ أصبح يخيفها بشدة. رغم محاولة زوجها تهدئتها بابتسامة مطمئنة عندما سألته عن مصدر الصوت، ورد قائلًا: «قد تكون إحدى بناتِ الجيران جافاها النوم وأخذت تسمع بعض الأغاني، وتغني معها يا عزيزتي»

لم تقتنع وقتها بتلك الإجابة؛ فأقرب جيرانهم يبعد منزله حوالي كيلو متر من منزلهم!

أفاقت من عميق شرودها على رنين الهاتف، لتجده والدها يتصل للاطمئنان عليها: «مرحبًا (مَيّس)، كيف حالك، بُنيّتي؟»

تُجيبه بمرح: «أنا بخير حالٍ أبي، رغم اشتياقي لكَ ولأمي»

فقال بترقب: «و(حازم)؟ هل يحسن معاملتك حبيبتي؟ أرجو أننا لم نتسرع في قبول زواجك منه»

ابتسمت، وكأنه يراها، وقالت حالمة: «(حازم).. إنه إنسان رائع، يتفنن في إسعادي، ولا يدّ خر جهدًا في الترفيه عني، ويبذل كل طاقته في تعويضي عن حياة المدينة. فلتطمئن أبي»

رغم إنهاء المكالمة مع والدها إلا أنها لم تَبْرَحْ مكانها، ومازالت السماعة على أذنها وهي شاردةٌ بخيالها إلى ثلاثةِ أسابيع مضت، تحديدًا يوم أن جاءَت المنزل كعروس، وذلك الشعور الغريب بأن المكان لا يروقها، حتى أنها كادت أن تطلب من (حازم) مغادرته فورًا، لولا تريثها في آخرِ لحظة، وأرجعت ذلك لأنها عَزَّ عليها فراق بيت أهلها فقط. حتى الآن لا تدرى كيف وافقت على الزواج منه بهذه السرعة! ربما سحرتها عيناه السوداوان بنظرتهما الواثقة، أو اجتذبتها كلماته الساحرة بصوته الرخيم العذب، أو أعجبتها دماثة خلقه ولباقته، لا تعلم حقًا؛ ولكن ما تدركه جيدًا أنها لا تعرف ما حلَّ بها ولِمَ سارت الأمور بعجل، وارتضت أن تترك حياة المدينة بصخبها وألوانها وكل ما تعشقه فيها، وتأتي معه للعيش في

منزل عائلته في تلك القرية النائية بجنوب المدينة. ولكن، الحق يقال، أن منزله يشبه في بنيانه أحد قصور الأحلام. يبدو أن زوجها فاحش الثراء، ولتواضعه لم يعلن لها ولعائلتها أنه ميسور الحال، ويبدو أيضًا أن هناك الكثير مما لم يعلنه عن نفسه.

«راقدةٌ هنا في جوفِ الظَّلام...

آتيةٌ أنا لأنعمَ بالسلام...»

من جديد يتردد ذلك الصوت، وهذه المرة كانت الكلمات واضحة وكأنها معها في الغرفة، لدرجة أن (مَيّس) وضعت كلتا يديها على أذنَيْها والتفتت لتوقظ زوجها؛ حتى يسمع الصوت ويتحقق، إلا أنها لم تجده بجانبها! نادت عليه بصوت متردد: «حازم! حازم!»، لكنه لم يُجِبْها. عندها توقف الصوت فجأة، فقررت أن تنزل من الغرفة وتبحث عن (حازم)؛ فالوقت مازال متأخرًا، فلا يعقل أنه ذهب للعمل في جوف الليل، حتى أنها مازالت لا تعرف أي الأعمال يُمارس ولا مواعيده؛ فهو يختفي فجأة ويظهر مساءً، وكلما اشتكت له وحدتها، وطلبت منه أن تقابل أحدًا من عائلته، يُغيّر الموضوع ويَعِدها بجلبِ خادمة تُؤْنِسها وتساعدها في ترتيب القصر، ويؤجل ذلك بحجة أنه لا يريد أن يعكّرَ خصوصيتهما أحد.

نزلت وقلبها يدق، وهي تتساءَل، أين ذهب يا تُرى زوجها؟ وفكرت أن تفتح باب المكتب المغلق، ربما يكون هناك ينهي بعض الملفات، وتذكرت حينها أنها يوم أرادت فتح بابِ ه، وجدته موصدًا بالمفتاح، وحين سألته إن كان يريد ترتيبه، تجهم وجهه ورد ببرود: «لا..»، فلم تناقشه وابتعدت. والآن إنها تقف بباب المكتب وقررت فتحه؛ لعله هناك، فأدارت القفل وانفتحَ بالفعل. كان المكان يسوده الظلام الدامس، وبيدٍ مرتعشة تلمست مفتاحَ الضوءِ وأنارته. كان مكتبًا فخمًا مرتبًا، لكنها أحسذتْ بالضيق. اقتربت ببطء تتفقده، لا يوجد به ملفات ولا أوراق، كان يشبه المتحف إن صح التعبير؛ تَمْلَؤه تماثيل غريبة من كل الأحجام، وبعض لوحاتٍ زيتيةٍ رُسِمَتْ ببراعة، حتى تكاد تنطق فيها الوجوه المرسومة، فلفت نظرها لوحة جَسّدَت فتاةً شابة ذات ملامح هادئة، بعينين عسليتين،

وشعرها فاحم السواد يظهر، وبشرة سمراء لامعة، إلا أنَّ عَينَيها تعكس لمسة حزنٍ عميق، وكأنها تشيح بنظرها إلى جهةٍ معينة، حتى أن (مَيْس) تحسست الصورة بأناملها لتتأكد من أن الوجه الذي أمامها مرسومٌ بريشة فقط، ثم استدارت تتبع الزاوية التي تنظر إليها فتاة اللوحة، لتنتبه أن هناك تمثالًا يُمسك قوسًا مُذهّبًا، ورأس السهم كان حادًا جدًا، فاقتربت ببطء وأرادت الإمساك بالقوس، لتسمع صرخةً مزمجرةً ارتعدت لها كل فرائصها وكادت تسقط مغشيًا عليها، وأجفلت حينما شاهدت زوجها واقفًا بالباب وعيناه تتقدان شَرَرًا.

تجمد الدم في عروقها، بينما تقدم هو وهو يحاول أن يتمالك غضبه الواضح، وقال باقتضاب: «ماذا تفعلين هنا، (مَيّس)!؟ لمَ لستِ نائمة؟ الوقت متأخر، أليس كذلك!؟». حاولت أن تخبره عن الصوت المنتحب، لكنها أحجمت لأنها ستثير غضبه أكثر بتخيلاتها، وطأطأت رأسها وهي تُجيب بصوتٍ خافت: «أردتُ أن أطمئن عليك عندما لم أجدك بجانبي». ابتسم وهو يحاول إبعادها عن التمثال ويأخذ بيدها خارج غرفة المكتب، ثم أردف بينما وجهه مازال خاليًا من أي تعبير: «نزلتُ أتفقد النوافذ والأبواب؛ لأن الرياح هبت فجأة. ألمْ تسمعي صفيرها، عزيزتي؟».

«عن أي رياح يتكلم!؟ إن القمر يتوسط السماء!». لكنها لم تناقشه، وأومأت بالإيجاب، وانتبهت أنه لا يلبس منامته، بل كامل لباسه الرسمي الذي عادةً ما يخرج به، فلم تُعلّق أيضًا، وأجابته قائلة: «أعتذر.. لم أقصد أن أتجسس على مكتبك، لكنه مكان يضم كل التحف. هل أنت تاجر تحف وقطع فنية يا حازم؟». ارتفعَ صوته بضحكةٍ عصبية، وقال وهو يمسك بكفها: «هههههه.. أنا من وجبَ عليه الاعتذار عزيزتي. كنتُ خائفًا من أن تُمسكي بالسهم؛ فرأسه حاد كنصل فيجرحك. (مَيّس).. عديني أنك لن تقتربي مُجددًا من المكتب، وخاصةً القوس. أخبرك لآخر مرة، لو لمسته بأناملك ستموتين في الحال؛ فالسهم قد غُطِّسَ بسمٍ قاتل». لم يكن يمزح؛ فَصَوْتُه تهدج فجأة وتغيرت نبراته، وكانت نهاية الحوار بينهما في تلك الليلة.

عندما أفاقت كان جرس الباب يرن بإلحاح، وكأنها نامت لسنين. صداعٌ مرير لم تستطع حتى فتح عينَيّها، وبالطبع لم يكن (حازم) موجودًا. انتظرت قليلًا ونهضت بصعوبة لتفتح الباب، ربما (حازم) نسيَ مفاتيح المنزل رغم أنه لم يحدث أبدًا، وهي تتساءل من يكون؛ فهي لا تعرف أحدًا هنا.

وفعلًا، فالفتاة الواقفة أمام مدخل الباب لا تعرفها، رغم أنها بادرتها بالتحية باسمها: «صباحك خير، سيدة (مَيّس)». كان صوتها جميلًا وهادئًا، وكأن ملامحها ليست بغريبةٍ عنها، حتى أنها نسيت أن ترد التحية وهي تتفحصها وتحاول تذكر أين رأتها، لتبادرها الفتاة قائلة: «أنا (حياة)، ابنة عم (حازم)، علمت بقدومكما فجئتُ للتعرف عليك يا (مَيّس)»، ثم سألت مبتسمة: «هل ستتركيني على الباب!؟»، خجِلت (مَيّس) من تصرفها غير اللائق، واعتذرت بابتسامة ودود للفتاة التي قدّرت عمرها بنحو الثامنة عشر.

دخلت (حياة) بهدوء، وكأن قدميها لا تلمسان الأرض. جالت ببصرها في المكان بتأنٍ، وكأنها قادمةٌ من سفرٍ طويل وتشعر بالحنين لمنزلها. لم تتكلم إلا يسير الكلام، ومعظم الوقت كانت تُدير خاتمًا في يدها اليسرى عندما كانت تصمت. رغم المحادثة القليلة المتبادلة فيبدو أن الزائرة وجدتْ لها مكانًا بسهولة في قلب (مَيّس)؛ لأن تلك الأخيرة كانت تحتاج فعلًا لأحد تتسامر معه بعد مللها من وجودها وحيدة معظم الوقت. وبعد ساعة من الزمن قامت الفتاة من مجلسها، تستعد للرحيل متجاهلةً اعتراضات (مَيْس) وإصرارها على البقاء قليلًا.

ـ « سوف أزورك ثانيةً، ولكنها ستكون زيارتي الأخيرة»، نطقت بها (حياة) بطريقة آلية، فردت (مَيّس) قائلة: «ولِمَ ستكون الأخيرة!؟ هذا منزلك، تأتين وقتما شئتِ.. حتى أن (حازم) سوف يسعد كثيراً بقدو...

ـ «إياكِ أن تخبريه بقدومي! وإلا لن تريني مجددًا!»، قالتها الفتاة بحزمٍ شديدٍ مقاطعةً (مَيّس).

ـ «لِمَ!؟ أنا أكيدة أنه سوف يَسّعَد؛ إنه ودود جدًا ويحب عائلته»

ـ «لا، ليس الجميع؛ فأنا و(حازم) بيننا حساب لم ينتهِ بعد، ولن يسعد أبدًا بمجيئي، حتى أنتِ لن تكوني سعيدة إن أخبرتِه عني. إن وافقتِ على هذا الشرط فسوف أزورك غدًا»

ـ «حسنًا.. موافقة»

غادرت الفتاة دون كلام أو سلام، وبينما هي تسير إلى الخارج لمحت (مَيّس) بطرف عينها الخاتم الذهبي الذي كانت تديره باستمرار؛ كان رائعًا يتوسطه حجرٌ أحمرٌ مميزٌ للغاية، وكأنه صُنع خصيصًا لها.

أغلقت الباب من ورائها والأحداث تعصف بتفكيرها. لِمَ يا ترى لم يدعُ (حازم) عائلة عمه إلى عرسهما وأنكر وجودَهم، وأخبر والدها أنَّه وحيد ولا أقرباء لديه بعد موت والديه!؟ و(حياة)، لماذا تَغيّر صوتُها عندما ذكرتْ اسمه على لسانها. ودون شعور اتجهت إلى غرفة المكتب مرة أخرى وحاولت الدخول؛ لعلها تجد صورًا لعائلة حازم أو صورةً لحياة تثبت صحة كلامها بأنها ابنة عمه. وحينما فتحت الباب تفاجَأت ما إن وقع نظرها على مكان اللوحة؛ لقد تغيّرت اللوحة برسمة أخرى لفتاة بملامح مختلفة، فاقتربت أكثر لتفتح فمها مندهشة، كانت صورتها هي! تكاد تنطق بتفاصيل وجهها وعينَيها الواسعتين وبشرتها الحنطية، متى... متى رسمها (حازم) لها!؟ أو ربما هي مفاجأة وأخفاها عنها! تعلم أنه بارع بالرسم، ولكن هناك أسفل اللوحة كُتِبت جملة بخط يدٍ رقيق، انحنت لتقرأ كلماتها:

«راقدةٌ هنا في جوفِ الظّلام...

آتيةٌ أنا لأنعمَ بالسلام...»

لم تبقَ لحظة أخرى في المكتب، وأسرعت الخطى لغرفتها وقررت أن تبقى حتى يعود (حازم) ويشرح لها ما يدور في هذا البيت المريب، وأن يواجهها بحقيقة الفتاة، واللوحة الموّقعة بنفس الجملة التي ملأت لياليها كوابيس. ولم تدرِ بنفسها حتى استسلمت لنومٍ عميق.

تمامًا في نفس الموعد نفس التهويدات الحزينة، والتي يتبعها صوت النحيب، وبعدها طرقاتٌ منتظمة كما سمعتها يوم زيارة (حياة)، ورأت نفسها تنزل بخطواتٍ متثاقلة لفتح الباب.. هل هي تحلم أم هي حقيقة؟

- «(حياة)؟ هيا ادخلي.. ما الذي جاء بك في هذا الليل والظلام الدامس!؟ هيا ادخلي بسرعة»

كانت تتكلم وهي تُقفلُ عائدةً إلى داخل المنزل، حينما لم تسمع إجابةً من (حياة)، فالتفتت لتجدها مازالت عند الباب، وتشير لها ووجهها شاحب. مهلًا! هي نفس الفتاة التي رأتها في اللوحة من قبل! وتخاطبها بصوت خافت، أن (اخرجي أنتِ).

- «اتبعيني»

- «إلى أين؟»

- «فقط اتبعيني»

سارت الفتاتان إلى الفناء الخلفي للمنزل، وما إن وصلتا إلى بقعةٍ متوارية أسفل الجدار أشارت إليها (حياة) قائلة: «إنه الأمر قبل يوم ميلادي»

- «ماذا!؟ لا أفهم شيئًا! ماذا بكِ حياة؟ هل أنت مريضة!؟»

لتكرر الفتاة بطريقة آلية: «إنه الأمر قبل اكتمال القمر.. السادس من تشرين الثاني.. إنها فرصتك الأخيرة وإلا جاورتِني للأبد»

ثم استدارت لتغادر مرددة بصوت حزين:

«راقدةٌ هنا في جوفِ الظَّلام...

آتيةٌ أنا لأنعمَ بالسلام...»

يقابل كلماتها ذهولٌ عارم من (مَيّس)، التي أخذت تراقب الفتاة حتى ابتلعها الظلام. نظرت إلى تلك البقعة التي أشارت إليها، وتلفتت يمينًا ويسارًا، فوجدت

جاروفًا في أحد الأركان، وبدأت في الحفر، لتنتفض ذعراً، حينما لمع في عينَيْها ذلك الخاتم الذهبي المميز بحجره الأحمر القاني، ولكن... ترتديه يد هيكل عظمي! صرخت صرخة مكتومة وتراجعت ببطء، محاولةً ألا تفقد وعيها. وبينما تتراجع ارتطم ظهرها بأحدِ ما. وكمن أصابه مسّ كهربائي انتفضت (مَيْس)، جاحظةً العينين فاغرةَ الفاه، تحدّقُ به غير مصدقة، بينما ابتدأ هو حديثه قائلًا: «سوف أشرح لكِ للمرة الأولى.. والأخيرة»

« منذ حوالي عشر سنوات اكتشفتُ مقبرةً فرعونية متخمة بالكنوز.. هنا تحديدًا، تحت هذا القصر الذي كان وقتها مجرد منزل فقير متواضع. كدتُ أطيرُ من السعادة؛ فأخيراً سوف أحصلُ على الثراء والقوة وأودّعُ أيام الشقاء التي أكلتْ منّي وشربتْ. ولكن هناك شروطًا لفتح المقبرة أخبرني بها أحد الرجال المختصين في البحث عن الكنوز؛ لدراستهم العميقة في الماورا ئيات وعلوم الفلك، وأصعبَها هو دم فتاة تكون من دمي. أُصدقك القول، كنتُ سأبحثُ عن قريبٍ لي عجوز هنا أو هناك ولكن لم يعد هناك وقت؛ يجب أن يتم ذلك وقت اكتمال القمر، أي الليلة يا (مَيّس)، عندما يصادف تلاقي برج القوس مع كوكب (فنيس). مممم.. فماذا أفعل يا ترى؟»

« وفيما أنا تائه في لجةِ حيرتي، إذ بها تقتحم المنزل بضحكتها الطفولية وشقاوتها المحببة إلى قلبي، تخبرني أنه عيد ميلادها التاسع عشر، وستكون حفلة خطوبتنا أيضًا. لم أفكر مرتين، ولم أنتظر أن يميل قلبي ويؤثّر على مصلحتي. كان نحر رقبتها سهلًا جدًا، ولون دمها القاني يُصفَّى على أعتاب المقبرة، لكني أهديتها خاتم خطوبة لا يوجد مثيله أبدًا في هذا الزمان، وجدتُه بيد إحدى ملكات الفراعنة المحنطة، وتعبيراً لها عن حزني وحبي وهبته لها. إنه كنز يا مَيّس. نعم، هو ذلك الخاتم في يدها اليسرى. لقد دفنتها به بعدما فتحت لي أبواب المقبرة. أظن أنه ملعون يا حبيبتي؛ لأنه أوصلكِ للحقيقة بسرعة»

سألته (مَيّس) بأنفاسٍ متقطعة: «واللوحة في مكتبك، ما سرها!؟»

أجابها في تلذذٍ مخيف: «إنها ملعونة، تحمل دائمًا ملامح القربان التالي»

لم تصدق ما تسمعه وحاولت أن تصرخ؛ لعل أحدهم يسمعها، لكن هيهات! لا مجال لذلك، بل مستحيل؛ فالوغد منزله في منطقة نائية وقد أحكم خُطته في عزلةٍ عن العالم الخارجي. إنه السجن المثالي لأي ضحية!

بتلقائية فرّت منه هاربةً إلى داخل المنزل محاولةً الفرار من براثن ذلك الشيطان، بينما تلاحقها ضحكاته المقيتة. ظلّت تركض على غير هدى، وأول مكان فكرتْ في الاختباء فيه كان المكتب. وكتمتْ أنفاسها وهي تلهث بشدة وعينَيْها جاحظتين. وفجأة لمحت الصورة، لكنها بملامحَ (حياة) الأولى، وهي تنظر ناحية التمثال الذي يحمل القوس. وقفزت ناحيته، ولم تدرِ إلا بيدَيْنِ تقبضانِ على كَتفَيْها ككلاباتٍ من حديد، وهو يقول: «لا ترهقي نفسك، عزيزتي. لا مفر إلا بموتي، وأنا لا أنتوي ذلك الآن»، ليسمعها تقول بثبات لم يعهده فيها من قبل، وبصوتٍ أجش كأنه صادر من أعتى الفرسان: «حسنًا، فلتدع عنكَ تلك المهمة!». ومع آخر كلماتها جحظت عيناه بذهولٍ ممزوجٍ بالألم، وهو ينظر إلى ذلك السهم الذي اخترق منتصف قلبه تمامًا، والذي أصبح فجأة في متناول يدها. لتصرخَ بعدها وتفتح عينَيْها والدموع تبلل وسادتها وريقها جاف، وهي تلتفت من حولها تكاد تختنق، لتتَفاجَأ أنها في فراشها لم تَبْرحه قط! وجرس الباب يدقّ والساعة تشير أن الوقت مازال ليلًا!

⭑ تمت بحمد الله ⭑



حسناء القوس

بقلم: أسما العنقاء

جروب #مشاعر_غالية

«لا أعلم كيف حدث كل هذا! كيف غدت الحياة أشبه بجحيمٍ مستعر! كيف لأحدهم أن يتغير، فتصبح أنت قرباناً لهذا التحوّل!؟»

بطرف بنانها الغض كفكفت (ميرا) عَبَراتها. جاهدت لتتحكم بارتعادات أطرافها، وهي تتمتم بالعبارة الآنفة لطبيبها النفسي، كانت هذه أولى جلساتها في عيادته الخاصة، أما هو فقد حاول قدر المستطاع إعطاء المجال لها كي تبثّ ما يعتري روحها من نَصَبٍ، بيدِ أنها كانت تتوقف فيضطر لاجترار البوح منها كل هنيهة.

- «أكملي.. أنا أنصت تماماً. أنتِ هنا لتُنفِّسي عمّا تختلج به حناياكِ»

يصدر صوت الطبيب محفزاً إياها على المواصلة، تمَسّد جفنيها بأنامل مرتعشة، قبل أن تتخلل تلك الأنامل خصلات شعرها بطريقةٍ تترجم اضطرابها. قالت مستطردة:

- «كان كل شيء رائعًا حتى عدنا من إجازة قضيناها في المغرب. بدأ الأمر باتهامه لي أنني أهذي أحيانًا، وقد بات هذا الأمر يؤرقه»

لوهلةِ التزمتْ الصمت قبل أن تردف قائلة:

- «أقسم لك أنه مَنْ غدا كمن أصابه مسّ من الشيطان؛ بدأ بمعاقرة الخمر وهو الذي لم يكُن ليتذوقها يومًا، حتى يوم زفافنا اكتفى بكأسٍ من العصير.. أصبح نهمًا يتناول كميات كبيرة من اللحوم، متطلباً ذا رغباتِ جامحة تميل أحيانًا للسادية!»

ران صمت على كليهما لثوانٍ، حتى قطعه صوته والذي اكتسته نبرة متعجبة:

- «مازلت لا أفهم، ما سبب ذلك التحول، والذي آلهُ لهذا المآل!؟»

تبسّمت ابتسامة مريرة، وهي تُجيبه:

- «ليتني أعلم! ليتني أعلم! أتعلم أن زوجي من مواليد برج القوس!؟»

اتسعت عينا الطبيب، وهو يقول بصوتٍ متهكم:

- «أتؤمنين بهذه الأشياء؟»

جاءه صوتها بثباتِ وقوة:

ـ «حد اليقين!»

قال باقتضاب:

ـ «أنا أيضًا من برج القوس، غير أني لا أؤمن بتلك التراهات!»

تمتمت بصوتِ رخيم:

ـ «أعلم..»

تعجب من ردها، وهمَّ بالاستفسار، لولا أنها استرسلت بالحديث مجددًا:

ـ «أتعلم؟ منذ الوهلة الأولى التي رأيتُه فيها ذلك اليوم، علمتُ أنه من مواليد هذا البرج. قسمات وجهه الهادئة، مُحيّاه البشوش، ذكاؤه، قوة ملاحظته، عشقه لـ(بيتهوفن) سليل ذلك البرج أيضًا، أناقته.. كان مسالمًا لأبعد حد! أتفهم الآن لماذا بدأت أتيقن حينها أن مكروهًا أصابه، وأنه لم يعد ذاته؟»

أماءَ لها الطبيب برأسه، وكأنه يخبرها أنه قد تفهّمها. تركها تسترسل بالحديث مجددًا، بصوتِ متهدج قالت:

ـ « سأخبرك أمرًا عجيبًا لن يصدقه أحد. ذات ليلةِ ولجتُ حجرته، فرأيته معلقًا في الهواء، يصب عليّ سهام نظراته بعينين كليلتين دهماوين، لا بياض يعتريهما، ولا سنا بهما يلتمع، لينقض عليّ بعدها كما الضرغام المفترس. كل شيء بات عجيبًا ومخيفًا، حتى إنني ذات ليلة صحوتُ على كفّيه، وهما تلتفان حول عنقي. أعلم أنه كان يريد قتلي حينها، وإن نَفَى ذلك وبقوة!»

يتأملها الطبيب وقد بدأ يظن أن خطبًا ما بها. «ربما كانت هي من تهذي بحق كما أخبرها آنفًا زوجها»، يحادث الطبيب نفسه، لينبعث صوتها من جديد مكملًا قصتها:

ـ « كنت أشعر أنه يتعذب، أعترف لك أني على يقين أن روحًا شريرة تلبسته. كان يتحدث أثناء نومه، ويسب أحدهم ويلعنه إذا ما استيقظ. قبل الحادثة بليلةِ،

اقترب مني هامسًا بأذني (أخبريه أن يرحل.. ساعديني.. أنا أتعذب!). بكيت حينها كثيراً، ثم نيت لو استطعت رفع ذلك المصاب عنه، وانتويت أن أحادث طبيباً ما في اليوم الوافد؛ ليساعدنا..»

من جديد صمت. يترك لها الطبيب المجال لتلملم شعث روحها، يعلم أن الحديث القادم مرهقٌ لها تذكُّره.

ـ «ارتشفي بضع من قطرات الماء..»

يحادثها وكفه تناولها كأسًا من الماء.. تتجرعه دفعةً واحدة، ثم تعيد الكأس فارغًا وهي تتمتم بكلمات الشكر. تعقد ساعديها حول جذعها، وهي تتحدث، وقد تعلقت مُقلتاها بسقف الحجرة:

ـ « لم ينم كلانا طيلة تلك الليلة من فرط صراخه حينًا ونحيبه حينًا. تناوبت حالته ما بين القوة المفرطة والوهن الشديد. كان يبدو جليًا أن كل شيء وصل بداخله لمنتهاه. لم يعد قادرًا على تحمل ما ألمّ به؛ فهو ومنذ فترة ليست بالقليلة حبيس المنزل، بل حبيس حجرته، لا يغادرها إلا لتناول طعامه فقط. صدقني سيدي مواليد هذا البرج يكرهون الحصار والتقيد بمكانٍ ما. كان كل ذلك يقتله برويّة! استسلمت للكرى بعد محاولاتٍ حثيثة مني لاحتوائه وتهدئته والتخفيف عنه، وعندما استيقظتُ لم أجده بالجوار. بحثتُ عنه إلى أن وجدته بحجرة الحمام غارقًا بدمائه، انتحر! يا لزوجي المسكين! لم يكُن يستحق ما أصابه!»

انفجرت بنوبة بكاء لا تهدأ، حاول الطبيب التخفيف عنها، حتى هدأت وقد وعدها أنها ستكون بخير. وما إن أخبرته عن تلك المخاوف التي تعتريها كل حينٍ فتصيبها بنوبات اختناقٍ وجزع، حتى عرض عليها أن تهاتفه متى أرادت، وسيكون دومًا بالجوار.. كيف لا؟ وبجانب كونه طبيبها الخاص كان جارها في الحي نفسه!

مساء ذلك اليوم يصدر من هاتف الطبيب أزيز متقطع، كانت هي المتصلة (ميرا)، بتؤدة يجلس الطبيب على طرف سريره وهو يستقبل المحادثة، ليأتيه صوتها متهدجًا يقطر منه الجزع:

- «إنـ.. إنه هنا! لقد ظهر مجددًا! يحاول قتلي! أرجوك ساعدني!»

ثم تنبعث من سماعة الهاتف صرخات متتالية، لتنتهي المحادثة تاركةً الطبيب في أوج حالات اضطرابه. بعد مرور خمس دقائق كان الطبيب يطرق باب جارته (ميرا) لتشرع له الباب بعجلة. بدا جليّا عليها الرهاب وظلال الخوف تحوم بفضاء عينيها، تهرول ناحيته متأبطةً ساعده ومتواريةً خلفه كطفلة صغيرة تهرب من الأشباح، يربت بحنو على كفها القابضة على زنده، ويستلّها بعيدًا بهدوء. يدلف وإياها المنزل، عيناها معلقتان بآخر الردهة المظلمة. تهمس له بصوتٍ خافت:

- «هناك في تلك الحجرة أراه.. كلما ولجتها رأيته يحاول الخروج من تلك اللوحة مادًّا ذراعيه نحوي صارخًا بي: (أخرجيني من هنا!)»

تُوقِف الحديث لتشرع بنوبة نحيب، استطاع هدهدتها، لتستأنف الحديث مجددًا قائلة:

- «تلك اللوحة لربما كانت ملعونة.. منذ اقتنيناها وتبدل الحال لسواه!»

يدمدم الطبيب بتعجب مستفسرَا:

- « أراكِ تعطين جميع الأمور بُعدًا غير واقعيٍّ.. لا وجود للوحات الملعونة!»

تعاود تبنّي فكرتها قائلة:

- «في أحد الأحياء القديمة بالمغرب، كان هناك رجل هَرِم، يتوسط كومة من اللوحات، استطعتُ من بين الزحام لمح تلك اللوحة، والتي كانت تحتوي رسمًا لما يطلق عليه (القنطور). خطفت لبي؛ فلطالما عشقت تلك الأسطورة، وقرأت عنها القصص والحكايات.. لا أبالغ إن قلت لك أن تلك اللوحة كانت تدعوني لأقترب. أشرت للرجل إليها، فابتسم بخبثٍ قائلًا: (أحسنتِ الاختيار)، أخبرني، بل أقسم لي

أنها لوحة أصلية. ابتعتها وسط سخط زوجي، والذي كان يمقت ولعي بعالم الأبراج وما يخصه»

يطيل الطبيب النظر لذلك النور الراشح من تلك الحجرة، والذي لم يكن متواجدًا منذ قليل!

بتؤدة يغادر مكانه متجهًا حيث الردهة المظلمة دون أن ينبس ببنت شفة. تتبعه (ميرا) بخطى مترددة، حتى أصبح الطبيب أمام باب الحجرة، بطرف بنانه يشرع ذلك الباب الموارب، ويعبر للداخل، و(ميرا) تتبعه بحرصٍ وخوف. ما إن أصبح كلاهما بمنتصف الحجرة، حتى صاحت (ميرا) وذراعها مرفوعان تجاه لوحة معلقة على الحائط المواجه للسرير:

ـ «إنها ملعونة، أخبرتك!»

يتفرّس الطبيب في تفاصيل تلك اللوحة، والتي انبثق منها نور خافت عجيب. يدنو فيشتد وهجها، ويشتد ذهوله. كانت اللوحة عبارة عن رسم لمخلوق أسطوري في الميثولوجيا الإغريقية له جسد حصان ويد وصدر ورأس إنسان، يُطلق عليه (القنطور)، أمامه فتاة حسناء يبدو الذعر على مُحيّاها، تحيطهما هالة ضبابية. أخذ الطبيب يلمس اللوحة حينًا ويتأملها حينًا، حتى ثبتت عيناه على عيني القنطور، ليثبت هو بدوره حيث يقف دون حراك. لهنيهة اشتد الضوء المنبعث، لتصرخ (ميرا) صرخة على إثرها يتكاثف ذلك النور متحولًا لكتلة دخانية تتسرب بهدوء كما الهواء لثغر الطبيب الفاغر. دقائق ويخبو السنا الصادر من اللوحة، وكأنه وجد ضالته أخيرًا!

في حجرة الحمام خاصتها تقف (ميرا) تحت المياه، مُسدلةً أستار جفونها، غارقةً في دهاليز ذاكرتها، تتدافع الذكريات متجليةً فوق صفحة البخار المنبعث من قطرات الماء الساخنة.

*

زوجها بضجر وضيق يقبض على اللوحة بكفيه، ويحادث زوجته بنبرة غاضبة:

ـ «ميرا، أين تريدين أن أعلّق هذه اللوحة المقيتة؟»

ـ «يا زوجي الحبيب ستروقك مع الوقت. ضعها هنا على هذا الجدار المواجه للسرير»، تجيبه بدورها بنبرةٍ محببة.

* * *

(ميرا) أصبحت شاردة معظم الوقت، التفَّت الهالات السوداء حول عينيها، ما يدل على قلة النوم والإرهاق، باتت ترى رؤى مخيفة، القنطور يركض خلفها في غابةٍ ترزخ تحت وطأة الضباب، يحاول أن يلحق بها، وما إن يقترب حتى يوقظها زوجها بهزها بقوة. كل صباح يخبرها ذات الكلمات، غير أنها ذلك اليوم خبرت ما أراده القنطور، وبدوره هو امتلكها، ما إن وقعت أسيرته. يهمهم زوجها بنفاذ صبر:

ـ «بات الوضع مريباً عزيزتي. كل ليلة أصحو لأجدكِ منتصبةً كما التمثال أمام تلك اللوحة. سأخرجها من الحجرة!»

ـ «لن تفعل! لا تقترب منها حتى!»، تخاطبه بنبرةٍ جدية.

يحادثها وهو يربت على كفها بودٍّ:

ـ «ميرا، تبدين على غير طبيعتك. دعينا نذهب لزيارة الطبيب»

تصرخ به وقد جحظت عيناها، وتطايرت خصلات شعرها بالهواء، وكأن عاصفة مرّت بالجوار:

ـ «لا نحتاج لطبيب! كل ما يحتاجه عزيزي القنطور هو جسدك!»

* * *

في تلك الليلة كان زوجها قد أرهق من مصابه، تلك الروح بداخله تحيله لحيوانٍ مفترس، تمزق روحه وتنهي وجوده شيئًا فشيئًا، يهمس لها بضعف:

ـ «ميرا، أرجوكِ ساعديني. أخبريه أن يرحل، ساعديني أنا أتعذب»

ـ «لا تقاوم عزيزي، استسلم له. أنا أصبحت أنثاه. اختارني لأبقى أبد الدهر له. نحن ملكه لا مناص لنا سوى الاستسلام!»

تتحسس وجهه وهي تضمه لها، في محاولةٍ لتهدئته. طوال ذلك المساء كانت تحاول أن تقنعه بالتوقف عن المقاومة والاستسلام، فاختار الاستسلام للموت!

💀*💀*💀*💀

ـ «تعلم أنه كان أوهن من أن يحتمل ذلك. زوجي انتحر وأنتَ عُدتَ أسير تلك اللوحة. ما العمل؟»

(ميرا) تقف أمام اللوحة محادثةً تلك الروح التي تسكنها، ليصلها صوته. وحدها من كانت قادرة على سماعه:

ـ «جسدٌ جديدٌ من برج القوس، سيكون مناسبًا، وسيأتي هذا المساء قريبًا من هنا. أنصتي السمع لذلك الضيف الجديد»

في المساء تناهى لمسامعها صوت دواليب مركبة بالجوار، تسترق النظر من النافذة لتجد ذلك الضيف، والذي ما كان سوى القاطن الجديد للمنزل المقابل لمنزلها. تطلق القهقهات بدلالٍ وتمايل، تقترب من اللوحة مقبلة إياها بشغف، تتمتم لها بكلمات وتعاود القهقهة والتمايل!

💀*💀*💀*💀

من بين ذرات البخار وأكوام الذكريات، يخترق سمعها صوت الطبيب مجلجلًا:

ـ «ميرا، لقد نفد الشراب، ونفد صبر شوقي لكِ يا حسنائي»

يفتر ثغرها عن بسمة ماكرة، وتتمتم من جديد بالكلمات:

ـ «من بين القوس والخطوط.. ينطلق سهم القنطور.. ليغمد في الجسد المنشود»

★ تمت بحمد الله ★



متاهة مينوتور

بقلم: أحمد خشبة ★ إيـمان مجدلـي

محمد مجدي يوسف ★ إسـلام علي

جروب #فانتازيون

ـ «ليس مهما الآن؛ فالجميع سيَقتلون لو لم نخرج من هنا»

ترددت تلك العبارة لتلجم الألسنة، ويعم الصمت المكان للحظات.. كيف حدث كل هذا!!؟ لماذا كل تلك الجثث!!؟

كان الأمر في البداية مجرد لعبة، متاهة يدخلها اثنا عشر شخصًا مقسّمين إلى ثلاث فرق، والفريق الفائز -الذي يستطيع الخروج- يفوز بالجائزة. ولكنها لم تكن أيّ متاهة، إنما هي متاهة (مينوتوس)!

شعرت (سوكا) بأوصالها ترتجف وهي تلج غرفة التعذيب، حيث بدا الأمر واقعيًا جدًا يبث الرعب في الأنفس.

ـ «ما بكِ يا جميلتي؟ هل تخافين هذه الألعاب؟! سأقيّدك على هذه الطاولة وأبدأ في تعذيبك إلى أن تعترفي»

قالها (عز) مازحًا، ساخرًا من شكل (سوكا) المرعوب، فضحكتْ الأخيرة لإخفاء توترها، وهي ترفع خنجرًا يبدو حقيقيًا في مواجهته، ولكنها تحولت فجأة إلى (أريج)، التي رفعت يديها عاليًا كرد فعل تلقائي، لتتحول قهقهات السخرية إليها بدلًا من (سوكا).

تنظر (أريج) إليهما بلوم، ثم تلتفت عنهما إلى ذلك الكتاب في ركن الغرفة:

ـ «مهلًا، ما هذا الكتاب؟»

يتقدم نحوه (عز) ويحمله ليُقلّب صفحاته، ليجده مليئًا بالصور:

ـ «ليس شيئًا مهمًا؛ إنه كتاب للصور يتبع ديكور المكان»

ثم يلقي به أرضًا مرة أخرى، ولكن (أريج) تنحني فتلتقطه وتتصفحه بنفسها.

ـ «إنها ليست كأي صور، وإنما تحكي قصة هذا البيت»



كانت (جيداء) سعيدة وهي تدخل غرفة الأطفال في الطابق الأعلى. لم يتوقع أحد أن يجد غرفة أطفالٍ مبهجة في بيتِ رعب. قال (سراج) ضاحكًا:

ـ «ولكن من قال أن غرف الأطفال ليست مرعبة!؟»

ضحك (جيمي)، بينما تلتفت (جيداء) مزمجرة:

ـ «لا تسخر من غرفة الأطفال؛ لأنني وصديقك ننوي أن نمتلك الكثير منها عندما نتزوج»

تتوقف ضحكات (جيمي)، ويُحدِّث (سراج) ذا النظرة الشامتة:

ـ «صدّقني، أنا أحسدك الآن على أنك أعزب»

همت (جيداء) لتقول شيئًا، لكنها صرخت عندما فاجأتها دمية لمهرج قبيح تبرز من الدرج الذي فتحته، فصاح (سراج) فرحًا:

ـ «الآن صارت الغرفة مناسبةً للمكان!»

تطلع (جيمي) حوله متابعًا كلام (سراج):

ـ «ويبدو أن الأمور تزداد سوءًا»

نظر الثلاثة حولهم، يشاهدون بقع الدماء تتناثر ببطء على كل الأثاث والجدران حتى صارت غرفة موحشة رهيبة. ثم بدأ النور يرقص مهددًا بالانقطاع.



ـ «لقد علقنا!»

قالها (تميم) بعد أن أُغلق الباب خلفهم فور دخولهم.

كانت الغرفة مليئة بالتماثيل البشعة المشوهة، فبحث (حسام) بنظره في أرجائها قبل أن يقول:

ـ «لابد أن طريقة فتح الباب موجودة هنا»

لم يقل (سيد) شيئًا، حيث كان يرتجف رعبًا.

بدأ الثلاثة بتقليب التماثيل على مضض؛ وقد بدت حيةً تراقبهم، تبعث الرعب في أوصالهم!

ـ «تخيل لو أن هذا التمثال حي وانقض علينا ونحن محبوسون الآن!»

خرجت العبارة من (تميم) مازحًا، فصاح (سيد) يهدده بقبضة مرتعشة:

ـ «اصمت وإلا دفنتك هنا!»

التفت (حسام) إليه واضعًا كفه على كتفه يهدئه:

ـ «هوِّن عليك؛ فالفتى يمزح فقط، إنه ليس...»

قبل أن يكمل جملته كان أحد التماثيل يهوي على ذراعه بفأس يحملها، فيقطع ساعده لتقع يده أرضا أمام عينيه، وتتناثر الدماء على الوجوه!

***

ـ «شيء ما يتحرك أسفل المهد!»

قالتها (جيداء) وهي تتلفت حولها متمسكة بقميص خطيبها (جيمي)، حيث انقطعت الأنوار، وعم الظلام بالغرفة.

حاول (جيمي) تهدئتها قائلًا:

ـ «لا تقلقي؛ إنها بعض ألاعيب الغرفة ليس إلا»

لم يكد يلفظها حتى صرخت (جيداء) عندما بللها سائلٌ ساخن، لكنها صرخت أكثر عندما سقط خطيبها من بين يديها كجوال أرز!

عادت الإضاءة مرة أخرى، وانفجرت (جيداء) في حالة هستيرية من الصراخ، عندما أدركت أن السائل اللزج ما هو إلا دماء خطيبها وقد شُطر جسده إلى نصفين متماثلين!

ظل (سراج) جامدًا في مكانه من هول الموقف للحظات، قبل أن يسحب يد (جيداء) ويسرع بها إلى خارج الغرفة.

بدأ (مجدي) بوضع التعليمات بعد أن فهم لغز الغرفة:

- «يتوجب على أحدنا أن يقف هنا، ويقف الآخر في الجهة الأخرى.. سأخبر كُلًّا منكما متى يتحرك وعلى أي مربع يجب أن تدوس قدماه»

ثم أشار إلى (أسعد) متابعًا:

- «أنت الأثقل يا (أسعد)، فاذهب إلى الجهة البعيدة حتى تحافظ على ميزان الغرفة»

تحرك (أسعد) إلى حيث أشار (مجدي)، بينما تقدم (مينا) خطوة وتوقف منتظرًا للتعليمات.

ظلا يمتثلان لإرشادات (مجدي)، يدوسان على المربعات المناسبة لحل الأحجية، فجأة يختل توازن (أسعد) على المسار الضيق فيفقد سماعة الأذن خاصته، والتي لا يستطيع السمع إلا من خلالها. توقف مكانه لا يفهم الإشارات التي يوجهها إليه صديقاه، حتى توتر وصرخ عاليًا وهو يتراجع خطوة خاطئة إلى الوراء، لينطلق سوط يلتف على عنقه يسحبه أرضًا، ثم تشق جسده عشرات الحراب!

تجمد الآخران من هول الموقف، ثم عاد (مجدي) إلى رشده فحاول أن يحل محل (أسعد)، لكن اللعبة دقيقة، وأي خطأ سيطلق الحراب عليهما. تقدم (مجدي) حتى بلغ مكان (أسعد) محاولًا سحبه إلى الأمان، ومن خلفه فُتِح الجدار ليظهر منه رجلٌ فارعُ الطول، ظن (مجدي) أنه جاء ليساعدهم فصرخ به:

- «لقد قَتلتْ غرفتكم الغبية صديقنا! سوف نقاضيكم! سوف...»

لكن الرجل المقنع قطع رأسه فقط بكل بساطة وعاد من حيث جاء!

ـ «يقول اللغز أن عليك أن تشرب قدرًا من الماء من خلال هذا الأنبوب.. ستضعه في فمك وأنا سأفتح الصنبور ببطء»

قالتها (سوكا) إلى (عزيز)، الذي فعل كما قالت.

فتحت (سوكا) الصنبور، فخُيِّل إليها أن الأنبوب هو الذي واصل الدخول بنفسه إلى حنجرة (عزيز)، حتى أنه بدأ في الارتجاف فالانتفاض بشكل عشوائي. لَمْ تفهمْ هي و(أريج) ما يحدث إلا بعد أن انفجرت أحشاء (عزيز) أمامهما، لتصرخان بشكل هستيري، فلا يُسكِتْهُما إلا يد خفية تسللت بسكينٍ حزت به عنق (أريج) في لمح البصر!

****

تعود بعض التماثيل إلى الحياة وتبدأ في التقدم نحو (سيد) و(تميم)، و(حسام) مبتور الذراع لا يعي ما يحصل حوله. صاح (تميم):

ـ «النجدة! أغيثونا!»

بينما دفع (سيد) أقرب الوحوش إليه بعيدًا، وشرع في ركل وضرب أي آخر يقترب، بينما واصلت التماثيل تقدمها البطيء كموتى سائرين مغلفين بورق النايلون. ظل (تميم) يركض عبرهم مستغلًا بُطأهم الشديد، بينما جاهد (سيد) واستمات في تسلق ما يجده من أرفف وأدراج، فيقفز من صندوق إلى صندوق، حتى اختل توازنه فسقط أرضًا وتكتلوا جميعًا عليه!

****

ـ «ليس مهمًا الآن؛ فالجميع سيُقتلون لو لم نخرج من هنا!»

قالتها (جيداء) عندما سأل الجميع عن (مينا)، حيث استطاع كل الناجين الاجتماع أخيراً ساعين للبحث عن مخرج، وكان هو بينهم، ولكنه اختفى فجأة، فذهب (سراج) للبحث عنه.

صاح (تميم) باكيًا:

ـ «هيا فلنعد من حيث جئنا! أين هو باب الدخول؟؟»

أجابه (حسام) محبطًا إياه:

ـ «ليس هنالك باب دخول؛ فلقد أغلق كأنه جدار فور دخولنا»

عاد (سراج) في تلك اللحظة، وأبلغهم أنه وجد (مينا) مصلوبًا في إحدى الغرف.

تذكرت (سوكا) أمر الكتاب، تلفتت حولها لتجده في يد (جيداء). هتفت:

ـ «الكتاب! ربما يحمل الأجوبة!»

أخذ (سراج) الكتاب من يد (جيداء) يتصفحه بسرعة، حتى وصل لصفحة قرأ فيها:

ـ «بُني هذا البيت في عام 1617 ليكون متاهة الأجساد وقبلة الأرواح، على يد أتباع (مينوتوس) العظيم تكريمًا وتمجيدًا لاسمه. اثنتا عشر روحًا تدخل من أجل العظيم بمحض إرادتها، (مينوتوس) الرحيم يأذن لنا كي نرتاح اثنا عشرة عامًا أخرى»

توقف (سراج) عن القراءة صائحًا:

ـ «ما هذا التخريف!؟»

ثم جعل يتصفح الصور الموجودة بالكتاب مع الجميع.

ارتجفت (سوكا)، واتسعت عيناها رعبًا، وقد لاحظت شيئًا ما:

ـ «ليس تخريفًا! كلنا سنموت بنفس الطريقة الموجودة في الصور! ألم تلاحظوا ذلك!؟»

اختطف (تميم) الكتاب وقلّب في صفحاته، ليجد رسمًا لكوكبة الأسد وتحتها صورة رجل تشق جسده عشرةٌ من الرماح، كوكبة الجوزاء صورة رجل مشطور إلى نصفين.

صرخت (جيداء): «إنه (جيمي)!!»

وهتفت (سوكا) باكية تشير إلى صفحة الحمل: «وهذه (أريج)! لقد ذُبِحت كالشاة في الصورة تمامًا!»

اندفع (تميم) بين الصفحات حتى أدرك كوكبة القوس، يُرمز إليها بصورة رجل مقتول بسهم في عينه، قلّب أكثر ليجد كوكبة الحوت تعلو صورة سمكة تشوى على النار. طالبه (حسام) مرتاعًا بالبحث عن برج السرطان، فبحث ليجده. رجلٌ مقطوعُ اليدِ في قِدرٍ من الماء المغلي. تطلع (حسام) إلى يده المبتورة والتي ضمدتها (سوكا) بقدر المستطاع، وانهارت أطرافه نازلًا على ركبتيه من الهلع.

صاح (تميم): «جميعنا سنموت!» ثم ظل يبكي.

قالت (جيداء) محاولةً السيطرة على انفعالاتها: «علينا ألا نفترق! سنبحث عن بابِ الخروجِ معا»

قالت (سوكا) خائفة: «ماذا لو أن القاتل أحدنا!؟»

التفت إليها الجميع بتوجس، ورد (سراج): «هذا غير صحيح؛ فلقد مات جيمي أمامنا لم يقتله أحد!»

أفادت (جيداء): «لقد كان النور مقطوعًا، فكيف نعرف!؟»

تراجعت (سوكا) خطوة إلى الوراء قائلة: «لقد ذهبتَ خلف (مينا) ثم عدت تقول أنك وجدته مصلوبًا. فما المانع أن تكون أنت القاتل!؟»

صاح (تميم) يطرد الفكرة المرعبة: «كلا ليس هو! لقد تحركتْ التماثيلُ وقتلتْ (أسعد) أمامنا!»

عقَّب (حسام) واهنًا: «وبترت يدي»

لكن (سوكا) واصلت الهجوم: «ما يدريكَ أنه لم يكن يتسلل خفية!؟»

صاح (سراج) بها: «أنا كنتُ مع (جيداء) طوال الوقت، فكيف سأتسلل!؟ ثم من قال أنه ليس أنتِ أو غيرك!»

قالت (جيداء) بجمود: «ربما تملك دافعًا ما لتقتل صديقك. أخبرني.. هل أنت من فعلها؟؟»

زمجر (سراج) ساخطًا عليهم، وتحرك يفارق الجمع في غضب.

قالت (سوكا) في حقد: «هذا دليلٌ على أنه الفاعل!»

(حسام) يعقب بائسًا: «لو أنه القاتل فما كان يجب أن نتركه يرحل عنا.. سيتسلل إلينا»

ـ «ليس ونحن معًا!» قالتها (سوكا) تعاند، ثم أطلقت حشرجة مكتومة، ورأى الجميع تلك الإبرة الضخمة تخترق عنقها وتندفع بها كالسهم فينغرس سنها في الجدار المقابل، تاركةً (سوكا) معلقة عليه كقرابين الطقوس!

صاح (تميم): «لقد بدأ (سراج)! لقد انتقم منها!»، ثم أسرع راكضًا في أي اتجاه، فسقط فجأة في طاقة فُتحت لحظيًا تحت قدميه، ليقع عموديًا في فرن مشتعل التهمه حيًا أمامهم، ليصرخ صرخة وحيدة مدوية تكفلت الجدران بترديد أصدائها.

(حسام) بارتياع: «لا يمكن أن يكون (سراج)! كيف علم مسار الصبي لينصب له فخ النار!؟»

أجابت (جيداء) تحاول إخفاء خداعها: «ربما كانت محض صدفة! ربما فخَّخ البيت كله بفخاخ مختلفة ليوهمنا!»

حك (حسام) جبينه بائسًا: «لست أدري.. لست أدري»

مدت يدها إليه: «قم.. سأساعدك لنخرج.. لن أدعك تقع في أي قدر يغلي، أعدك»

قاما يتساندان، ليجدا (سراج) يركض نحوهما صائحًا: «عودا من حيث أتيتما! الأنابيب ستنفجر!»

لحظتها انفجر مدفع ماء ساخن في وجه (حسام)، الذي أفلتته (جيداء) في الحال ليلاقي مصيره وحده.

صرخت: «لقد قتلتَه!»

صاح بها (سراج): «أقسم أنني لم أفعلها! أنا أيضًا خائف أنتظر السهم ليخترق رأسي في أية لحظة!»

تدفعه ثائرة: «لستُ أصدقــك!»

- «بل صدقيه»

التفتا إلى (مينا)، الذي مال يفادي سهمًا خاطفًا، واصل طريقه إلى عين (سراج) فأرداه فورًا!

صاحت (جيداء): «أنت لم تمت! أنت هو القاتل!»

ضحك (مينا) وقال: «أنا مثلك ومثلهم جئتُ بمحض إرادتي أيضًا، لكن الفرق أنني أعلم السر. أنا أحد أبناء سلالةِ خُدَّامِ المتاهة، وتطوعتُ لكي أقود البقية لحتفهم وأتمم المهمة كما فعل وسيفعل جميع أبناء السلالة»

صاحت جيداء متراجعة: «ستقتلني!»

ضحك (مينا) يلاعبها: «ألم تَرَيْ صورتك وتعلمي أنكِ الوحيدة التي لن تُقتَل!؟ ولذلك أظهرتِ شجاعةً وهدوءَ أعصابٍ كنتِ محظوظةً كفاية لئلا يلحظهما أحد، وإلا لوخزتْكِ (سوكا) المرعوبة بسموم الاتهام بدلًا من (سراج) المسكين، وأنتِ بنبلٍ وشهامةٍ أرسلتِ قرونكِ في صدره تؤيدينها»

صاحت في رهبة: «خفتُ أن تتجه شكوكهم نحوي فيقتلوني!»

قهقه مينا: «هل تعلمين أنكِ أنقذتِ خطتنا؟ فلو أنهم قتلوكِ أو قُتل أحدهم بشكل يخالف صورة كوكبته لفشلت الخطة، وكان البيت ليطلقهم، ولاضطررتُ للبحثِ عن مجموعةٍ غيركم. شكرًا لكِ يا حارسة روح (مينوتوس) العظيم شكرًا. سأعود لأصلب نفسي ما إن أنتهي من تجهيزك لسيــ...»

قطعها شاهقًا بصدمة، ثم خرّ صريعًا، ليظهر من خلفه (سراج) الذي طعنه بالسهم إياه في ظهره، يضع يده على عينه يحاول كتم النزيف وقد أنقذ حياته تحفزه للسهم القاتل. أمسك بكتف (جيداء) يهزها لتنتفض من جمودها، صائحًا: «هل أنتِ بخير؟ هيا فلنسرع بالخروج!»

واندفع بها نحو باب البيت الذي فُتِح على مصراعيه فور هلاك (مينا).

تنفسا الصعداء لا يصدقان أنهما يغادران ذلك الكابوس، وفتح (سراج) عينه المصابة يعالجها بضوء الشمس الدافئ، فخُيّل إليه أنه يرى صورة (جيداء) تهتز أمامه!

بحذر نقل يده إلى عينه السليمة يغطيها، فتلاشت الرؤية إلا من (جيداء). يراها وسط الظلام تلبس درعًا من عظام الموتى، ويخرج من رأسها قرنان عظيمان، بينما ذيل الثور يتراقص من خلفها.

التفتت له مكشرةً عن أنيابها، فسارع يفتح عينه السليمة ملتاعًا؛ لكن الأوان كان قد فات!

★ تمت بحمد الله ★



الثور الأحمر الناري

بقلم: ريماس صالح

جروب #الفزع_في_كلمات

استيقظتُ من غفوتي على صوت انفجار قوي أتبعه صرير حاد، واندفاع عنيف للأمام، جعل مقدمة رأسي ترتطم بتابلوه السيارة، وأفلتت صرخة ألم رغمًا عني.

ـ «هل أنتِ بخير؟»

ـ «ماذا حدث؟»

أجابني زوجي بضيق واضح:

ـ «لقد انفجر أحد الإطارات، ونجحتُ في إيقاف السيارة قبل أن تنقلب بنا»

بأنفاس لاهثة استمعتُ لحديثه وأنا أبحث عن مخرج من هذا المأزق المخيف، حيث الطريق المقفر والظلام يُغرق المكان من حولنا.

ـ «الإطار الاحتياطي.. نحن نملك إطارًا احتياطيًا!»

زفر زوجي محاولًا السيطرة على غضبه، وخرجت الكلمات مزمجرة من بين أسنانه.

ـ «لقد تركتُه في الكراج حتى أفرغ متسعًا لحقائبك»

غادر السيارة وقد تجاهل فكي السفلي الذي تدلّى في بلاهة، ووقف بالخارج ينفس عن غضبه، ويتلفت في حيرة بحثًا عن أي مساعدة ممكنة.

بعد مرور نصف ساعة دبّ الملل واليأس في نفوسنا، وبدأ (رياض) زوجي يتململ في وقفته. وأخيراً قال وقد حسم أمره:

ـ «دعينا نغلق السيارة ونسير في هذا الاتجاه. أنا أذكر أن هناك استراحة قريبة من هنا»

شعرتُ بمعدتي تتقلّص، وأنا أخفي ثورة اعتراضي لهذا الاقتراح أسفل ملامح وجهي المتجهم، ولكنه لن يصغي الآن لمهاترات نسائية كانت سبباً في هذه الكارثة.

ابتلعتُ غصّة مرّة وأنا أتناول حقيبة يدي، وزجاجة مياهي، واستبدلتُ حذائي ذا الكعب العالي بآخر رياضي. أما هو فقد قرر أن يترك هاتفه المحمول العاجز عن التقاط أي إشارة بداخل تابلوه السيارة، واكتفى بإغلاق أقفال أبواب السيارة.

صحراء ممتدة الأطراف، وظلال جبال تكاد تبتلعنا بين وديانها، وكشاف هاتفي يناضل من أجل إبقاء رقعة ضوء صغيرة تساعدنا على رؤية مكان خطواتنا التالية.

عندما بدأ الإرهاق ينال منا، وترنحت خُطانا، هتف زوجي فجأة وهو يشير إلى ضوء مصباح حكومي يكشف عن مكان يشبه الـڤيلا، وبأسفل عمود الإنارة كانت أطلال بوابة حديدية محطمة.

لم تكن تبعد عنا الكثير، وبرغم إشراق وجه زوجي وخطواته التي دبّ بها النشاط.

كانت حديقة الـڤيلا منبع الإهمال والرائحة الكريهة تكاد تُزهق أرواحنا كلما اقتربنا نحو تلك النافورة العملاقة التي تشبه بحيرة صغيرة تزين منتصف الطريق بين البوابة الحديدية والفيلا، وقد اتضح أنها مصدر الرائحة بمائها العطن والأوساخ التي استفحلت على سطحه.

اعتصرتُ ذراع زوجي، وأنا أهمس له من بين ثنايا المنديل المعطر الذي نجح في حجب الرائحة بعض الشيء:

ـ «أرجوك.. دعنا نعود إلى السيارة»

ـ «سوف نطلب المساعدة وننتظر قدوم من يُصلح سيارتنا أو يقطرها إلى أقرب مركز إصلاح»

فجأة أضاءت إحدى النوافذ، ليَظهر الضوء ذلك الزجاج المكسور بها وستارتها المتسخة، وانتفضنا مفزوعين مع صوت نعيق الغربان الذي تردد صداه حولنا، وباب الفيلا الذي انفتح ليصدر عنه صرير يزيد من اضطرابي، ليطل علينا رجل في

الخمسينيات من عمره، شاحب البشرة، وملامح الطيبة على وجهه تتناقض تمامًا مع كل ما يحيط بنا.

بدأ حديثه قائلًا بشيء من الترحيب:

ـ «من حسن حظكم أننا أصلحنا هذا المصباح بالأمس»

ـ «نعتذر عن الإزعاج، ولكن نحن..»

ـ «أعلم.. عابري سبيل. لا داعي للقلق؛ نحن نستقبل أحدهم من بين حين وآخر»

ـ «هل لديك هاتف أرضي؟ لأن الهاتف المحمول لا فائدة منه في هذه الصحراء»

ـ «بالطبع.. تفضلوا بالدخول»

ودفع الباب لتتسع الفجوة وتُظهر ما خلفه من محتويات الفيلا. كان بهو الفيلا غايةً في الأناقة والنظافة، ولا شيء يثير الريبة سوى مجموعة من رؤوس الثيران محنطة بشكل بارع ومنتشرة على الجدران.

اصطحَبنا إلى غرفة المكتب، حيث الهاتف ومكتبة ضخمة تحتل جدارًا كاملًا. امتدت يدي في فضول لاستكشاف محتوى تلك المكتبة.

كان أول كتاب صادفني قصة أطفال معروفة باسم (اليونيكورن الأخير والثور الأحمر الناري). أعدته إلى مكانه، ووقع اختياري على كتاب آخر، ولكن اتضح أنه نسخة من الكتاب السابق.

توترت أعصابي وأنا أتناول نسخةً أخرى مكررة لقصة الأطفال (الثور الأحمر الناري).

كانت المكتبة بأكملها لا تحوي سوى هذه القصة الطفولية على رفوفها، والتفتّ نحو زوجي الذي يُجري الاتصال الهاتفي بقلق. أما هو فوقف حائرًا يضغط أزرار الهاتف الأرضي، ويغلق السماعة، ثم يرفعها من جديد.

ـ «ماذا هناك!؟»

ـ «لا توجد حرارة في هذا الهاتف»

ارتعدت فرائصي، واقتربتُ أتفحص الهاتف بيد محمومة، أحاول التأكد من سلامة الأسلاك، لكن ما إن رفعته عن سطح المكتب حتى انطلقتْ شهقاتُ الاستنكار من أفواهنا؛ إنه مجرد هيكل خارجي فقط، لكن لا وجود لأي ماكينة هاتف حقيقية بداخله! انقطعتْ الكهرباء وأفلتت صرخة مشحونة بالذعر من بين شفتيَ، وأسرع (رياض) يضيء كشاف هاتفي ويهزني بعنف لعله ينجح في انتزاعي من وسط إعصار أفكاري السوداوية.

ـ «هيا بنا! يجب أن نغادر هذا المكان!»

كنت أشعر بالدوار، ونحن نتبين طريقنا إلى الخارج. وعلى ضوء الكشاف ظهر كل شيء متهالكًا والغبار منتشر بكل مكان، وكأن المكان مهجور منذ زمن ولا أثر للرجل وكأنه تبخّر. وبرغم اضطراب أعصابنا تحرك (رياض) بتلقائية نحو الباب الرئيسي.

ووقف كلانا يحدّق بهذا الحائط في غير تصديق؛ لا أثر للباب الرئيسي وكأنه لم يكن يوما ما! مجرد حائط!

ـ «هيا بنا!»

ـ «إلى أين!؟ كيف حدث هذا يا (رياض)!؟ نحن لم نتأخر سوى بضع دقائق!»

أجابني وهو يلتقط أنفاسه، ويبحث بين غرف الفيلا الأرضية عن مخرج.

ـ «(غادة) أرجوكِ.. انسي أنكِ برج العذراء، وتوقفي عن الانتقاد ولو لحظة، وفكّري في طريق للهرب من هذا المنزل الملعون»

المكان ملعون حقًا، رائحة عطن تزكم أنفاسنا، وحوائطه شديدة السواد والأرضية غير ثابتة وتئن تحت أقدامنا، والنوافذ مسدودة بألواح خشبية أو شبكة حديدية.

ـ «لا فائدة.. المكان مغلقٌ بإحكام هنا»

ـ «وما العمل؟»

ـ «تعالي لنحاول الوصول إلى تلك النافذة ذات الزجاج المكسور!»

لم يكن عليها أي شبكة حديدية أو حواجز خشبية.

سيطرَ علينا الرعب ونحن نحاول الصعود عبر تلك السلالم المتهالكة، وكلما صعدنا ازداد الهواء برودة، وانتابتني القشعريرة، حتى أنفاسنا أصبحت أشباحًا ضبابية تتراقص أمام ضوء الكشاف الخافت.

التصقتُ بزوجي، ونحن نتحرك داخل ممر الغرف. وامتدت يد (رياض) لتفتح باب أول غرفة. انفتح الباب بعنف جعلنا نتراجع ونسلّط ضوءَ الكشاف إلى الداخل. كانت الغرفة مليئة بألعاب ممزقة، وحصان خشبي هزاز، وآثار دماء تلطخ كل جدرانها.

وفجأة تأرجح ذلك الحصان الهزاز ببطء، مُحدثًا صوتًا جمّد الدماء في عروقنا، وسرعان ما دبت فيه الحياة وتأرجح بقوة وعنف في اتجاهنا. ومع صرخاتي الهستيرية أسرع (رياض) يغلق الباب بقوة، وتلا هذا صوت ارتطام عنيف خلف الباب، ساد بعدها سكون مخيف!

ـ «هل أنتِ بخير؟»

كان الموقف قد حرق كل قوة احتمالي، واكتفيتُ بأن أومأت برأسي. وانتقلنا إلى الغرفة التالية. كان بابها محطمًا، والغرفة خالية من الأثاث إلا من منضدة متهالكة استقر فوقها شيءَ ضخم سلّطنا عليه ضوء الكشاف، وبدأنا نقترب لنكتشف أنه مُجلدٌ ضخم أسود الغلاف.

تناوله (رياض) بمزيج من الفضول والاشمئزاز، ونفض عنه الغبار، ودنا من النافذة ذات الزجاج المكسور؛ لعل الضوء الشحيح القادم من عمود الإنارة بالخارج يساعدنا على رؤية أفضل لفحوى هذا المجلد، الذي أرعبنا بمحتوياته المخيفة، من صور دموية لفتيات مراهقات، وكلمات مكتوبة بخط طفولي لكن معانيها قاتلة.

بدأ الكتاب مِقولة: «تقول الأسطورة أن الغضب لعنةٌ تقتل ما بداخلنا من جمال، وأن الثور الأحمر الناري كان في الأصل إلهًا يعشق آدمية فاتنة، وتخفّى في شكل ثور أبيض حتى ينال محبتها، ولكنها خانته مع آدمي مثلها، وتملكه بركان الغضب حينها، واشتعلت النار به ليتوهج باللون الأحمر الناري. ومن حينها اشتهرت أسطورة الثور الأحمر الناري».

وبجانبها صورة عائلية قديمة لرجل وسيم، وامرأة متوسطة الجمال، وطفل رضيع ذي وجه دميم.

وتوالت الصور وقد اختفى الأب منها، وظهر الغضب واضحًا في ملامح الأم، وازداد الطفل تشوهًا.

وكتابة بخط طفولي متعرج:

«لقد هجرنا أبي، وتزوج امرأةً جميلة»

كانت ملحقةً بها صورة لطفل دميم الوجه في السابعة من العمر تقريباَ، ويحمل بين يديه رأس ثور، ويبتسم في سعادة.

أصبحتْ الصفحات التالية أكثر خطورة، وأدركتُ أننا نواجه مُضطربًا عقليَا ونفسيَا، لو أنه على قيد الحياة فنحن في عداد الأموات.

«إنها المرة الأولى التي أصطاد بها فرسة جميلة»

ومعها صورة فتاة مراهقة غايةً في الجمال.

«أمي أخبرتني أن الجميلات يجب أن نحتفظ بهن داخل البركة المائية، وعلى الثور الأحمر الناري أن يحرسهن، ويمنعهن من الهروب»

هتف (رياض) بعصبية، وقد تفصد العرق عن جبينه.

ـ «ما هذا!؟ عن أي جنون يتحدث!؟»

أجبتُه بطريقة آلية:

ـ «الأم جنّ جنونها بعد هجر الأب وزواجه من امرأة جميلة، وقامت بتحويل طفلها المشوه إلى قاتل لكل فتاة جميلة!»

صرخ بوجهي مستنكرًا:

ـ «توقفي عن تشاؤمك هذا! كلامك غير منطقي!»

بادلته الصراخ، وأنا أذرف دموع الخوف والصدمة:

ـ «وأنتَ لن تتخلى عن عنادك أبدًا!»

تجاهلني وهو يمسك بالمجلد، وبدون تردد أطاح به خارج النافذة. تعالى صوت خوار يشق السكون، ويجمد الدماء بالعروق. كان رد فعلي الهستيري سببًا في إسقاط الهاتف من يد (رياض)، ليسقط منه أرضًا، ويسود الظلام إلا من بقايا الضوء الخارجي. صوت الخوار قادمٌ من الممر، ويزداد اقترابًا. وأنا و(رياض) نقف على أطراف أصابعنا من الذعر، ونرى كل ركن مظلم يتمدد ويتحول إلى ذراعٍ ذات مخالب مخيفة تحاول النيل منا.

أصبحَ صوتُ الخوار في كل مكان، وانتظرنا مصيرنا المحتوم. حينها مر أمامنا رجلٌ تلتهمه النيران، ويحمل رأس ثور بين ذراعيه، يعدو في الممر. كنتُ أحاول التقاط أنفاسي، بينما قام (رياض) بتمزيق تلك الستارة المتهالكة، ولفها حول أحد ذراعيه، وبكل قوته حطّم ما تبقى من زجاج، وأسرع يُخرج رأسه ليستكشف معالم المكان. لحظات واستجمع شجاعته ليقف على حافة النافذة.

ـ «رياض! رياض!»

ـ «ليس هذا وقتًا مناسبًا!»

ـ «النافورة العملاقة! إنها تفور! انظر إليها.. إن المياه بها تفور!»

ـ «أنا لا أرى شيئًا»

واختفى فجأة من أمام عينيّ، والتصقتُ بالنافذة بحثًا عنه. وتنفستُ الصعداء عندما وجدته يحاول النزول عبر أحد أغصان شجرة ملتصقة بالجدار المجاور للنافذة.

نجح في الوصول للأرض حين كنت أتابع بخوف ذلك الغليان غير العادي بالنافورة. وفجأة ظهر ذراع أحدهم، لا.. ليس ذراعًا واحدًا! بل أذرع كثيرة! وبدأت أطياف فتيات مفزعة المظهر ومتآكلة الوجوه تطفو على السطح. شعرتُ بالغثيان والدوار يتملكني حتى أظلم كل شيء حولي. وهمس صوتٌ أصابني بالقشعريرة في أذني:

ـ «أنتِ جميلة.. فرس جميل»

فتحتُ عينيّ أخيرًا. مازلتُ بمكاني، وصوت (رياض) بالخارج يخترق مسامعي، ولكن ما تجسّد أمام عينيّ أخرسني تمامًا.

كنتُ أحدق في ذلك البشري الذي يرتدي رأس ثور محنطة ومجوفة، وتطل عيناه المخيفتين من داخلها تتأملني، وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا بحركة آلية.

ـ «رياض! ساعدني أرجوك!»

انتفضتُ أهرول خارج الغرفة بحثًا عن مهرب. كنتُ أتخبط داخل الممر وأتوغل أكثر إلى الداخل. كنتُ أشعر بأنفاسه تُلهب كياني وخواره يتردد صداه في ذهني!

ـ «رياض! ساعدني!»

أعدو كالعمياء، حتى اصطدمتُ بشيء معدني. قوة اندفاعي انتزعته، وسقط جسمي لينزلق بداخل شيء أشبه بأنبوبة عملاقة، لينتهي بي المطاف ويرتطم رأسي بعنف، قبل أن أفقد وعيي.

ـ «غادة.. حبيبتي.. غادة..»

قاومتُ ثقل جفوني، وأنا أفتح عينيّ بحثًا عن (رياض).

كان الضوء قويًا وقد غلّف الضباب كل شيء.

ـ «رياض.. أين أنا؟»

ـ «في المستشفى يا حبيبتي»

تنهدتُ بارتياح، وأخبرني (رياض) أنه ظلّ يتتبع صوتي، وأثناء التفافه حول المكان وجد نفسه يقترب من المدخل الرئيسي لأحد المستشفيات. وحظنا العثر قادنا إلى البوابة الخلفية، والتي بسبب عجز التمويل أوقفت إدارة المستشفى تطويرها، وكانت فتحة المغسلة المهملة هي منقذتي حين ارتطم رأسي بإحدى عربات تجميع الغسيل.

لم يصدق أحد دخولنا إلى هذا الجانب؛ لأن إدارة المستشفى منذ شرائها ذلك المكان بالمزاد، أغلقت المدخل بحاجز إسمنتي أثناء الإنشاء، ولولا عثورهم على هاتفي المحطم لظن الجميع أننا مجانين.

انصاعت الشرطة للتحقيق في أمر النافورة العملاقة، لتنكشف الحقائق عن جثث فتيات مفقودات منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

وظل لغز الرجل الذي استقبلنا يؤرقنا، وقد خمّنّا أنه رسولٌ من عالم الأرواح.



ـ «أنتِ جميلة.. فرسٌ جميل»

انتفضتُ فزعةً بقلب يرتجف خوفًا، وبشفاه مرتعشة سألت (رياض):

ـ «أين سمعتَ هذه الكلمات؟»

أجابني ممازحًا:

ـ «كانت مكتوبةً في ذلك المجلد»

ومن أحد الأدراج أخرج المجلد اللعين ملوّحًا به.

مزّقني الرعب، وأنا أنظر إلى عينيه اللتين توهّجت بداخلهما النيران فجأة، وتلك الهالة النارية تحيط وجهه.



لعنة رأس الثور

بقلم: وائل عبد الرحيم

جروب #الفزع_في_كلمات

جلس ذلك الساحر الدجال وسط قاعته الواسعة، التي ملأها بالعديد من كتب السحر، أغلبها مقلد، مع بعض الهياكل العظمية والجماجم هنا وهناك.

كان يعتمد على أدواته تلك بالإضافة لذكائه وسعة حيلته، للنصب على البسطاء؛ للاستيلاء على أموالهم بداعي حل مشاكلهم.

كان ذكيًا ماكرًا خبيثًا، حيله لا تنتهي، وقريحته لا تنفد، مما ساعده كثيرًا في مهنته.

ولكنه كان حزينًا اليوم؛ فقد هاجمه أعداؤه بالشائعات التي أقرت بأنه أفّاق يدّعي العلم ولا يمتلكه، ونجحت هذه الشائعات في مهمتها، وصدّقها الناس، فابتعدوا عنه، حتى أنه لم يأتِ له أي زبون طيلة أسبوع كامل.

ولقد كان جالسًا يفكر فيما يستطيع أن يفعله لإعادة شهرته، ولكن وأثناء استغراقه في التفكير، اندفع تابعه (حمدون) مقتحمًا عليه خلوته، وهو يهتف: «زبون يا معلم شمردل.. زبون!»

تهللت أساريره، وهو يعتدل في مجلسه، ولكنه برغم ذلك زمجر قائلًا للتابع: «مئة مرة أخبرك أن تناديني (مولانا)، وليس (معلم)!»

حمدون: «حسنًا يا مولانا، أأدخله؟»

أشار له (شمردل) في عصبية قائلًا له: «حسنًا أدخله، ولكن ليس على الفور. أخبره أني في خلوة، وتحدّث معه عن قدراتي وإمكانياتي، و... أنت تعلم عملك بالتأكيد»

حمدون بخبث: «أعلم أعلم، معلم.. أقصد مولانا»

واندفع لتنفيذ الأمر، بينما انهمك (شمردل) في تهيئة القاعة لاستقبال الزبون الجديد.

وبعد لحظات دخل زبونه المنتظر. كان رجلًا ضئيل الحجم، يحمل حقيبة بلاستيكية كبيرة، ويبدو التوتر واضحًا على وجهه.

قال له (شمردل) في صوت عميق، يجيد اصطناعه: «اجلس يا سلمان»

كان قد علم الاسم -بالطبع- عبر اتصال خفي من تابعه (حمدون) بعد ثرثرته مع (سلمان)، وإن كان لم يستطع أخذ أي معلومات أخرى منه غير اسمه فقط.

بالطبع اندهش (سلمان) من معرفة (شمردل) لاسمه، ولكنه تجاوز هذا سريعًا، وهو يجلس قائلًا: «لقد سمعتُ عنك يا مولانا من أحد أصدقائي، وأتيتُ لك لتحل لي مشكلة كبيرة..»

قال (شمردل) بنفس النبرة العميقة، وهو يلقي ببعض البخور في الإناء أمامه، ليتصاعد منه دخان كثيف ذو رائحة مميزة: «تحدّث يا سلمان»

ازدرد (سلمان) لعابه، قائلًا بخوف، وهو يتلفت حوله: «لقد.. لقد قمتُ بقتل زوجتي»

اندهش (شمردل)، وإن لم يظهر هذا على ملامحه، وظل صامتًا، ليتابع (سلمان): «منذ تزوجتها وأنا أشك بها. كانت صامتةً أغلب الوقت، تُفضّل الجلوس بمفردها، تقرأ في كتب غريبة بلغات أغرب، وتقول لي أن هذا متوارث في عائلتها، وأن هذه كتب عن العلاج بالأعشاب، وكانت تتغيب عن المنزل كثيرًا بحجج واهية. وأحيانًا أشعر بها ليلًا تتحدث مع أحدهم في الغرفة المجاورة، وعندما أقتحمها أجدها بمفردها. بالإضافة لأنها كانت تناجي أحدهم أثناء نومها باسم [سيدي (خازن)]، وتبثه عبارات العشق والهوى، وعندما أوقظها تنكر معرفتها لأي شخص بهذا الاسم. وما أثار شكي أكثر هو نومي كثيرًا بعد كل مرة تصنع لي فيها مشروبي المفضل. أشياء كثيرة، ولكني لم أستطع أن أمسك ضدها أي دليل مادي.. والأدهى من هذا ذلك الثور..»

قال (شمردل) مضيقًا بين حاجبيه: «ثور!؟»

سلمان: «نعم، ثور.. ثور أسود كانت تربيه بالفناء الخلفي لمنزلنا، وتوليه عنايةً خاصة، واهتمامًا شديدًا، وترفض رفضًا باتًا ذبحه تحت أي ظرف، وكانت تهددني بتركي والذهاب إذا مسستُه بأذى أو اقتربت منه حتى، وكانت ترفض

ذكر سبب ذلك. والحقيقة أني لم أكن بحاجة لتحذيرها ذاك؛ فقد كان ذلك الثور يخيفني بالفعل، ولا أعلم السبب»

شعر (شمردل) بقشعريرة خفية تنتابه، فتجاوز هذه النقطة، سائلًا (سلمان): «وكيف وصل بك الأمر إلى قتل زوجتك؟»

سلمان: «عندما ازداد شكي فيها قمتُ في إحدى الليالي بمغافلتها وعدم شرب مشروبي، حيث أفرغت الكوب دون أن تلاحظ في أصيص الزرع، ثم تظاهرتُ بعدها بالنوم، لأشعر بها ترتدي ملابسها، وتخرج من المنزل، فتتبعتها حتى وجدتها تقابل رجلًا ما وتدخل معه أحد المنازل!»

وتابع والعصبية تبدأ في غزو ملامحه: «كدتُ أفقد أعصابي وأقتحم المكان فأقتلهما معًا. ولكني فكرت.. لماذا أقتلها بهذه الطريقة وأضع نفسي تحت طائلة القانون!؟ فقررتُ عمل كمين لها أتخلص به منها. وهكذا وضعتُ أنا لها المنوم في اليوم التالي، وانتظرتُها حتى ذهبت في النوم، وحملتها في جوال وخرجت من المنزل، عندها سمعت خوار ذلك الثور الرهيب من الفناء الخلفي، وقد بدا ثائرًا عصبيًا غاضبًا، ولكني تجاهلته وذهبت بجسد زوجتي إلى منطقة صحراوية قريبة، ثم فصلتُ رأسها عن جسدها، ودفنتها هناك. وعدتُ لأكتشف اختفاء الثور تمامًا، برغم وجود القيد مكانه، وعدم قطعه!»

بدت الدهشة على وجه (شمردل) هذه المرة، وهو يتابع (سلمان) الذي أكمل: «تجاوزتُ هذا سريعًا برغم دهشتي، وأبلغتُ الشرطة عن غياب زوجتي، ولقد شكوا فيّ بالطبع، ولكن لم يستطع أحدٌ إثبات أي شيء عليّ»

أخفى (شمردل) ذهوله من القصة، وهو يقول: «إذن ما الذي أتى بك إليّ الآن؟»

فتح (سلمان) الحقيبة، وألقى بمحتوياتها أمام (شمردل)، قائلا: «هذا..»

نظر (شمردل) في دهشة حقيقية إلى ما كانت تحمله الحقيبة..

فقد كانت تحمل رأسًا!

رأس ثور!

رأس ثور مخيف الهيئة، عيناه مفتوحتان وحمراوان تمامًا!

ولكن لم يكن هذا أغرب شيء..

فقد كان الجلد والشعر يغطيان المنطقة المقطوعة من الرأس، كأنه...

كأنه وُلِد هكذا، ولم يحمل جسدًا يومًا!!

حاول تمالك نفسه، وهو يسأل الزوج: «وما هذا؟»

أجابه الزوج: «بعد قتلي لزوجتي بأسبوعين، ظهر هذا الرأس في منزلي. إنه هو.. رأس ذلك الثور الذي أخبرتك عنه!»

تراجع (شمردل) في توتر، و(سلمان) يتابع: «ذعرتُ منه في البداية، وأخذت أراقبه في فزع، حتى واتتني الشجاعة فحملته وألقيت به خارجًا، ولكنه عاد مرةً أخرى للظهور!!»

بدا الذعر واضحًا في عينيه مكملًا: «وهكذا.. كلما أتخلص منه، يعود للظهور في منزلي مرة أخرى، حتى كدت أجن، وأيقنتُ بوجود أمر خارق للطبيعة فيما يحدث، فقررت اللجوء إليك. فهل تستطيع تخليصي منه؟»

ازداد توتر (شمردل)، وهو يتطلع إلى الرأس، إلا أنه وجدها فرصة مناسبة ليكسب مبلغًا ماليًا محترمًا، يعوّضه عن قلة زبائنه، فتصنّع مظهر العليم ببواطن الأمور، وهو يقول: «هذا سحر أسود واضح.. سيكلفنا الكثير للتخلص منه..»

سلمان بلهفة: «لا تهم المصاريف؛ المهم أن أتخلص من هذا الرأس الذي كاد أن يصيبني بالجنون!»

طلب منه (شمردل) ترك الرأس له، مع ترك مبلغ كبير مع (حمدون). وانتظر حتى انصرف الرجل، ثم أخذ يتطلع إلى ذاك الرأس مفكرًا في طريقة للتخلص منها.

كان هذا عندما فتح الرأس فمه، وصرخت في وجهه بخوار مفزع رهيب!

💀*💀*💀*💀

أطلق الرأس صرخته، واختفت الغرفة من حول (شمردل)، وأحاط به الظلام من جميع الاتجاهات.

تلفت حوله محاولًا سبر أغوار الظلام متسائلًا: «أين أنا؟ وما هذا الظلام!؟ وماذا حدث لي!؟»

حاول تحسس ما حوله في الظلام، ليشعر بأشياء صلبة تحت يده.

أخذ يتحسسها قليلًا قبل أن يدرك مرتعبًا ما هي..

لقد كانت عظامًا بشرية!!

إذن فقد انتقل إلى داخل مقبرة!

وهنا حدث أمرٌ جعله ينتفض مذعورًا في قوة!

لقد رأى عينين تلمعان في الظلام!

عينَي ثور!

كانتا حمراوين وحشيتين، تنظران تجاهه مباشرة، و...

وتقتربان منه!

تسمر مكانه في رعب، وهو يحدق في تِينك العينين غير قادر على الحركة، حتى أصبحتا في مواجهته مباشرة!

وسمع لدهشته صوتًا أنثويًا وحشيًا يقول له: «إذن فأنت ذلك الساحر الشهير! ما رأيك الآن وأنت تحت رحمتي؟»

هتف مذعورًا: «من أنتِ؟ وما الذي أتى بي هنا!؟»

قال الصوت: «لقد أفسدتَ عليّ انتقامي من ذلك الحقير الذي قتلني لشكه في وجود علاقة بيني وبين ذلك الفتى، دون أن يعلم أن الأمر مختلف تمامًا عن كل ما يظنه؛ فذلك الفتى لم يكن إلا تابعي»

شمردل: «تابعك؟»

الصوت: «نعم، تابعي. لم يكن يعلم زوجي الأحمق أنني كنت أمارس السحر الأسود الذي توارثته عائلتي جيلًا بعد جيل. لم يكن يعلم أن هذا الفتى هو تابعي الذي يساعدني في ممارسة الطقوس السوداء في وكرنا الخاص. لم يكن يعلم أني وأسرتي نعبد (خازن) سيدنا وسيد برج الثور العظيم، والذي كان يتمثّل في جسد ذلك الثور الأسود. سيدي، الذي قتلني هذا الحقير وحرمني من الاستمرار في عبادته!»

سألها (شمردل) في فضول هذه المرة، وقد قل رعبه قليلًا: «ولماذا عدتِ؟»

قالت: «لأنتقم منه طبعًا»

قال لها: «وما الذي منعكِ كل تلك الفترة؟»

الصوت: «لا أستطيع إيذاء قاتلي قبل مرور خمسين يومًا على موتي. ولقد بدأت الطقوس بالفعل ولم يكن متبقيًا إلا خمسة أيام فقط على اكتمالها، لكنه - اللعين- أخذ الرأس التي أرسلها سيدي الثور إليه وأعطاها إليك، وهي الطريقة الوحيدة للتخلص منها. والآن لن أستطيع إيذاءه حتى يستعيد الرأس وبإرادته الحرة. لقد فسد انتقامي، وستدفع أنت الثمن!!»

اقتربت العينان أكثر مع إحساس (شمردل) بعدة أيادٍ تجذبه إلى أسفل التربة، ليصرخ مذعورًا: «مهلًا! إنني أستطيع مساعدتك!»

توقف سحب جسده، وذلك الصوت يعود للظهور قائلًا: «أنت!؟ كيف؟»

قال لها: «أستطيع استدراج زوجك ليستعيد الرأس حتى تنالين انتقامك كاملًا، ولكن...»

قال الصوت: «ولكن ماذا؟»

قال والجشع ظاهرًا في صوته: «ولكني سأطلب منكِ طلبًا، طلبًا تقسمين بقسم الساحرات على تنفيذه لي بعد أن تنالي انتقامك»

قال الصوت: «وإن رفضت؟»

قال وقد عادت إليه شجاعته: «بإمكانك قتلي هنا ولن تنالي انتقامك»

قال الصوت: «حسنًا.. وما هو مطلبك؟»

قال بخبث: «ستعرفينه حينها»

صمت الصوت قليلًا، قبل أن يعود قائلًا: «اتفقنا»

ليبتسم (شمردل) في انتصار.

* * *

كان (سلمان) يجلس منتشيًا في مقهى البلدة، وهو يشعر بالسعادة لتخلصه من زوجته الخائنة، وأيضًا ذلك الرأس المرعب الذي كان يطارده في كل مكان.

وبينما كان يستمتع بشرب الشاي، أتى شخصان تعمدا الجلوس قريبًا منه. وبعد قليل قال أحدهما للآخر بصوت خافت، ولكنه تعمد أن يسمعه (سلمان): «هل سمعت يا صديقي عن الكنز الذي استخرجه الساحر شمردل؟»

قال الآخر، وهو يختلس نظرة إلى (سلمان) الذي شدته العبارة: «أي كنز!؟»

قال الأول: «يقال أنه عثر على كنز مهول دله عليه رأس ثور مقطوع يمتلكه، وأنه قد تحدث ودله على أماكن لكنوز كثيرة، عثر على بعضها بالفعل، وفي طريقه للبحث عن الباقي»

الآخر: «يا للمحظوظ! إني أدفع نصف عمري في مقابل رأس مثل هذا. لو كنت أمتلكه لما تركته يفلت من يدي أبدًا!»

كل هذا و(سلمان) يستمع إليهما، والدهشة تملؤه، تلتها الحسرة الشديدة، ثم الغضب!

ونهض وهو ينوي أمرًا ما!

..*.*

ابتسم (شمردل) عندما لمح (سلمان) يدخل عليه قاعته، فرحب به قائلًا:

ـ «أهلًا أهلًا.. هل لديك رؤوس أخرى تزعجك؟»

قال له (سلمان) بعصبية: «أريد رأسي!»

قال (شمردل) بخبث: «ولكنه فوق كتفيك في مكانه.. وهل قال لك أحدهم أني سرقته!؟»

قال (سلمان) في عصبية أكثر: «لا تمزح معي! أريد الرأس الذي طلبتُ منك التخلص منه»

(شمردل) بنفس الخبث: «ولكني تخلصت منه بالفعل!»

أخرج (سلمان) فجأة مسدسًا من جيبه، وصوّبه ناحيته قائلًا له: «أعلم أنه معك.. أعطِه لي وإلا انتهت حياتك الآن!»

تظاهر (شمردل) بالذعر، وهو ينظر إلى المسدس قائلًا: «ماذا ستفعل يا رجل!؟ اهدأ!»

قال له (سلمان): «لن أهدأ! إن صبري ينفد.. أعطني الرأس!»

تظاهر (شمردل) بالاستسلام، وهو يُخرج الرأس من أحد الدواليب، قائلًا لـ(سلمان): «ها هو! ولكن احذر.. إنه شديد الخطورة، ولسوف تندم كثيرًا على استعادته»

أخذ منه (سلمان) الرأس، وهو يتراجع قائلًا بسخرية: «اطمئن.. لن أندم»

تابعه (شمردل) وهو ينصرف، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ظافرة قائلًا: «حسنًا.. لا تقل لي أني لم أحذرك»

جلس الزوج في بيته أمام الرأس، وهو يتحدث له قائلًا: «هيا.. أخبرني.. أين الكنوز؟ أخبرني مثلما أخبرتَه.. هيا.. تحدث!»

ولكن الرأس ظل صامتًا لا يتحدث، فنهض ساخطًا وهو ينظر إلى ساعته قائلًا: «ثلاث ساعات كاملة وأنا أتحدث إلى رأس ثور لعين مقطوع! يا لي من ساذج إذ صدقت هذه الرواية!»

ـ «لقد اكتملت الخمسون يومًا الآن يا زوجي العزيز!»

التفت مذعورًا إلى مصدر الصوت، ليجد الرأس محلقة في السماء، وعيناها تشتعلان نارًا حرفيًا، وهي تنطق بالجملة السابقة بصوت زوجته، ثم تتابع: ـ «والآن حان وقت الانتقام!»

وسمع جيران الزوج صوت صرخته المرتعبة، تنطلق عالية من منزله، ليندفع بعضهم ليقتحم المنزل.

ولكنهم لم يعثروا له على أدنى أثر..

نهائيًا!

وقف الساحر وسط غرفته، يتأمل رأس الثور السابحة في الهواء أمامه، وهو يقول لها: «هل أتممتِ انتقامك؟»

أجابته: «نعم، أتممته.. وبأفضل الطرق الممكنة!»

قال لها: «حسنًا.. هذا دورك..»

قالت له وشيء من الغضب يمتزج بصوتها: «ماذا تريد؟»

وعندما قال لها مطلبه، اشتعلت عيناها بالنيران مرة أخرى، في مزيد من الغضب.

وبشدة!

💀*💀*💀*💀

كان الساحر يعيش بعدها أفضل أيامه..

لقد زاد زبائنه على نحو غير مسبوق، وجابت شهرته البلاد، وأتاه الناس من كل صوب.

فمع كل مؤثراته الخاصة لم يكن هناك شيء يماثل آخر إضافاته.

لم يكن هناك شيء يماثل رأس ثور مقطوعة متحدثة، تقول لزبائنه كل ما يريد هو قوله.

دون أن يجرؤ أحد على أن يعترض على ما تقوله، أو يشكك في مصداقيته.

أبدًا!

✯ تمت بحمد الله ✯



مينوتوروس

بقلم: محمد أبو الفتوح

جروب #الفزع_في_كلمات

انطلقتْ صيحات الجماهير في حماس جنوني، تهتف باسمي: «(وااائل)! (وااائل)!»، وتكاد تحطم بحماسها وجنونها حلبة مصارعة الثيران، حيث أقف في وسطها منتشيًا، وكأنما تتغلغل الصيحات بداخلي، وتملؤني نشوة. أستمد قوتي من الهتاف. أنظر في زهو إلى تلك الجثث التي ترامت من حولي، منها من أسلمت الروح، ومنها من تترنّح وتحاول أن تقف، ثم تسقط أرضًا مرة أخرى. ولم لا!؟ لا أبالغ إذا قلت إنني أعظم مصارع عاش على وجه الأرض، وعلى مرّ التاريخ!

تقول إنني مغرور؟ نعم أنا مغرور.. أنا وحش مغرور!

عندما تقف وحدك في الحلبة، في مواجهة خمسة ثيران هائجة، فتتفادى هذا، وتطيح بآخر، وتغرز رمحك بثالث، ثم تقفز أرضا لتتفادى انقضاض رابع، فلابد أن تكون وحشًا، ويجب أن يملأك الغرور؛ خصوصًا وجثث الثيران ترتمي حولك على الأرض دون حراك.

أعيش في إسبانيا.. من الجيل الثاني لمهاجر مصري هو أبي، هناك تفجرت موهبتي، وحلّقتُ بعيدًا حتى فاقت سمعتي كل الحدود. طلبوني في كل مكان بالعالم، لأقوم بعرضي.

واليوم أنا في أثينا. أخذتْ الجماهير تهتف باسمي؛ فأنا هنا الملك المتوج. أمشي بخيلاء وسطهم منتشيًا، أقف أمامهم وأخلع قبعتي، ألقيها فيثب بعضهم على بعض محاولين الظفر بها، أدير لهم ظهري، لأغادر ببطء، والصيحات تتعالى.

ينتهي العرض فأعود إلى مقر إقامتي في أرقى أحياء أثينا؛ لأنعم ببعض الراحة والنوم، مع كل الإثارة والتقدير الذي أناله من الجميع.

أفتقدُ شيئًا؛ بعد أن تصل القمة مثلي، يصبح كل شيء عاديًا، تفقد القدرة على الاستمتاع بالحياة، بيد أن اليوم كان مختلفًا قليلًا؛ أسترجع في ذهني ما حدث في عرض اليوم..

كانت الثيران كما هي عادةً في غبائها واندفاعها، إلا واحدًا منها لم أر مثله من قبل. كان ثورًا أبيض على غير العادة، ويمتلك الكثير من الذكاء؛ فعلى مدار عشر سنوات في اللعبة وعشرات الثيران المقتولة، كان هذا يختلف؛ عيناه تشعان ذكاءَ، انتظر إلى أن قضيتُ على الأربعة الآخرين، ثم بدأ يواجهني وكأنما كان ينتظر أن أستنفذ طاقتي معهم، ويستغل ضعفي، ولكن هيهات؛ هو لم يعلم من أكون، حتى فات الأوان.

أقفُ في الحمام تحت شلال المياه المتدفقة، وهي تزيل العرق والأتربة من جسدي جرّاء المصارعة. ألمح الماء وهو ينزل، يتغير لونه إلى الرمادي. أخرج من الحمام وألقي بجسدي على الفراش، أغطّ في نوم عميق. أجد نفسي في أرض عجيبة؛ ظلام دامس، صرخات عجيبة من كل مكان، أين أنا؟ كيف أتيت هنا؟ هل هذا حلم؟

ما أراه أمامي واضح جدًا، كأنني في أرض الواقع. ولكن كيف هذا!؟ أصوات صراخ وخوار من كل مكان، حوافر ثيران تضرب الأرض، كأنها ألف زلزال! من أين تأتي!؟ لا أرى أي ثور من حولي!

أحاول أن أستيقظ بلا فائدة! يبدو وكأنني انتقلتُ إلى مكان آخر بعقلي. هناك صوت شيء ما يقترب، أصغي السمع فيتوقف الصوت فجأة. أنفاس قوية ترتطم بمؤخرة رأسي. ألتفتُ مسرعًا، لا شيء! ما هذا الجنون!؟ حوافرٌ تقترب في سرعةٍ وغضبٍ وحقدٍ، ظلٌّ يتشكّل على بعد، لا أراه جيدًا، يبدو أنه ثور، ولكنه يمشي على قدمين! اللعنة! إنه ثور رجل، أو رجل ثور! جسد رجل برأس ثور! (المينوتور) كما تصفه الأساطير الإغريقية!

يقترب مني، ويُطلق صرخاتٍ هزّتني، ثم يتقدم نحوي ويهتف بصوت كالخوار: «لقد هزمْتني اليوم. أنت الموعود! وليكوننّ انتقامي منك غدًا مريرًا!»

أتراجع إلى الخلف وأنا أرتجف رعبًا، وأتساءل: «هزمتك!؟ كيف ومتى وأين!؟»

يُطلق صرخة يقفز لها قلبي من فمي، ويتواثب تحت قدمي، في عقلي أرى صورة الثور الذي ظل للنهاية، وتلذذتُ بقتله، أغرز فيه رماحي الواحد تلو الآخر. (المينوتور) كان يُحرّكه بعقله، كما فهمتُ من رسالته التخاطرية. وأسمع الصوت الغاضب: «لا خيار أمامك إلا أن تأتي إليّ، لتقتلني فأنتصر، أو أقتلك فأنتصر!»

ثم أشعر به يقذفني بقوة، ثم ينطلق مبتعداً وأنا أرتطم بالأرض!

استيقظتُ وأنا أشهق، كمن كان يغرق وصعد إلى السطح! أخذتُ أعبّ الهواء في صدري، هل ما رأيت حقيقة؟ لأول مرة في حياتي أرى حلمًا بهذا الوضوح والدقة، بل إنني أشعر بضربته على كتفي تؤلمني، أنظر إليها لأجد آثار كدمات فعلًا! كيف!؟؟

أفتح الثلاجة لأتناول ضمادات ثلج وزجاجة ماء باردة، أتجرعها مرة واحدة. يجب أن أفهم ما الذي يحدث. هل كل هذا له علاقة بذلك الثور الغريب الذي قتلت؟ هل كان فعلًا على علاقة ما بالمينوتور؟

ولكنه أسطورة إغريقية وليس حقيقة!

قمتُ بتشغيل الحاسوب أبحث أكثر عن الأسطورة. وكما يحصل عادة، وجدتني قد انجرفتُ كثيرًا داخل الشبكة، واستوقفتني أخبار ما طرقت وترًا خفيًا في عقلي، أم هي حاستي السادسة؟ أولها خبرٌ في جريدة أثينا الرسمية منذ عدة أشهر، حين كانت تقوم الدولة بعمل أحد المشاريع الخدمية في بلدة (غورتاين) جنوب جزيرة كريت، وجد عمال الحفر فراغًا تحت الأرض، يفضي إلى ممرات وكهوف عديدة، وكأنه التيه المذكور في الأساطير القديمة، أو متاهة المينوتور لـ(ديدالس)، وتم إيقاف الأشغال مؤقتًا، لحين دراسة الأمر.

الخبر الثاني: هروب العمال من موقع الحفر، بعد تداول بعض الشائعات عن اختفاء مواشٍ وأشخاص بينهم سياح هناك، وصرّح بعضهم أنه رأى من يشبه الثور، أو رجل/ثور، يحوم حول المكان.

ثم خبر في جريدة حوادث عن حالات اختفاء غريبة في بلدة (غورتاين)، والأهالي يؤكدون أنها بسبب المينوتور، ولكن لم يتم العثور على جثث. ورجال الشرطة يقولون تارةً أنه نزوح جماعي لشباب القرية، بسبب ظروف المعيشة الصعبة، وتارةً أنه قاتل معتوه، فيما يبدو بوضوح أنه تعتيم إعلامي وتستر على حقيقة ما يحدث.

أخذتُ أفكر.. ربما يكون الأمر حقيقيَا بعد كل شيء. المينوتور كان حبيسًا تحت الأرض، مقتله على يد ثيسيوس بمساعدة حبيبته (أدرياني) كما تذكر الأسطورة ربما ليس سوى نوعًا آخر من التعتيم، لابد أنه مازال حبيسَا هناك لأن كل الأخبار تشير إلى نفس البلدة، ويبدو أن الوحش يملك طاقة نفسية هائلة تجعله موجودًا بخيالاته في كل مكان تقريبَا. ربما يستطيع التأثير في أشخاص بعينهم، وإلا علم الجميع بأمره. لكن لماذا أنا!؟ هل سوء حظي جعلني أتواجد في المكان الخطأ في الوقت الخطأ؟ أهي سخرية القدر؟ أنا مصارع الثيران الأشهر ضد الثور الأشهر!
ظللتُ على الفراش غارقًا في حيرتي، حتى غافلني النوم. لن أحكي لك مرةً أخرى كل ما رأيته في الحلم أو الرؤيا، المطاردات والصرخات، التهديد والوعيد بأني إذا لم أذهب لملاقاته سيظل يطاردني حتى يصيبني الجنون. يريد أن يواجهني ليأخذ ثأره بيده، ثأره لِمَ!؟ قتلي للثور الأبيض!؟

رؤيا ثانية كأنها ذكرى لشخص آخر من زمن قديم، شخص يوناني وفتاة يغادران على متن قارب بدائي، مشاعر مختلطة، حب وخوف وقلق، بلدي مصر والأهرامات في أبهى صورها.

أستيقظ شاهقًا، لاهثًا، وغارقًا في عرقي، لأجد ذلك الثور يحوم حول الفراش وهو يخور، ثم يختفي من أمامي! يبدو أن الجنون سيصيبني قريبًا، إن لم يكن قد أصابني بالفعل!

أخلد إلى النوم من جديد فيأتيني ككل مرة، ولكنني اعتدتُ ما يفعله. أخبره أنني مستعد للمواجهة وإنهاء الأمر. يضحك بخوار عال وهو يقول: «اعلم أني سأنتصر.. في كل الأحوال سأنتصر أيها الموعود!»

للمرة الثانية يناديني بذاك الاسم: «الموعود!»

أقول له متحديًا إنه «لم يفلت مني (ثور) قبل ذلك!»

ينظر إليّ بغضب ويجيب: «أنت تعلم مكاني أيها الموعود.. لندع الآلهة تقرر!»

استيقظت وأنا كلي حماسة، كأنني ولدت من جديد. أحسست أنني حي في النهاية، شعور كنت قد فقدته؛ سأواجه هذا المينوتور وسأقتله. لقد قتلتُ العشرات من قبل. ستكون مواجهة مشوقة؛ ثور ذكي بعقل إنسان، كنت أحتاج إثارة كهذه منذ زمن وأبحث عنها.. ثورة تقلب حياتي رأسا على عقب!

في اليوم التالي ركبت الطائرة إلى عاصمة (كريت) في رحلة جوية داخلية، ثم استأجرتُ سيارة إلى بلدة (غورتاين)، قصدت فندقًا صغيرًا، أفرغت حقيبتي الصغيرة، استرحت قليلًا، ومع غروب الشمس أعددت نفسي جيدًا وخرجت لأستقل السيارة. تجاهلت تحذيرات الحرس بأن الوقت متأخر والمنطقة خطرة مع تزايد حالات الاختفاء بها، أصررت أن أذهب وحدي ولا أخبرهم بوجهتي. وصلتُ إلى ذلك المكان لأجد الفجوات التي تم حفرها وتركها دون حراسة. يبدو أن الشرطة لم تصدق ما قاله أهل البلدة ولم يأخذوه على محمل الجد، وظنوا أنه مجرد خزعبلات وشائعات.ز أمسكت رماحي وكشافَ نور قويًا، وألقيتها من إحدى الفتحات. علّقت خُطّافًا بالحبل وربطته بإحدى الأشجار، تمسكت به وأنا أهبط رويدًا رويدًا. حين وصلت إلى الأرض تسلحتُ بالرماح متأهبًا وأنا أوجّه نور كشافي، أتأمل الممرات من أمامي ومن خلفي، وعن يميني وعن يساري، اللعنة! كيف سأجده في هذا التيه!؟

بالطبع لم يفتني أن آتي بخيط متين لأربط طرفه عند مدخل الفتحة، وطرفه الآخر حول خاصرتي؛ حتى أجد طريق العودة، كما فعل (ثيسيوس) في الأسطورة

عملا بنصيحة حبيبته (أريادني)، التي ساعدته ليقتل شقيقها (المينوتور). جهاز تحديد المواقع كان خياري الأول، لكن الشبكة منعدمة هنا بالأسفل، كما توقعت.

أدلف إلى أول ممر في المتاهة، لينطلق خوار ألف ثور، وترتعد معه مفاصلي. ما الذي أقحمت نفسي فيه!؟ كيف أخذتني الحماسة إلى هنا!؟

أطمئن نفسي، أحاول أن أبث بها بعض الثقة، وأكمل طريقي. ممر وراء ممر، هل تسمع تلك الخطوات خلفي؟ أعدو سريعًا، ألتفت ورائي ولا أرى شيئا، ألمح ظلًا على الجدار ولا أثر لخصمي. أعود للجري لاهثًا ربما أستطيع أن أدركه، تبًا إنه ممر مسدود! كيف!؟ ألم تره معي وهو يدخل من هنا!؟

أعود أدراجي، أبحث في ممر آخر، ليس هنا، مسدود أيضًا! أعود مرة أخرى.. مسدود.. مسدود.. كأن المتاهة تتحرك وتتغير في كل مرة! ما تلك الصرخة؟ يبدو أنه يريد أن يتلف أعصابي أولا قبل مواجهتي. هيهات!

ها هو هناك، يهجم عليّ بسرعة، يدفعني بقرنيه دفعة قوية، أطاحت بي إلى آخر الممر، ووقع الكشاف وجميع الرماح من يدي.

لا وقت الآن للألم. كنتُ مرتديًا سترة واقية من (الكيفلار) حمتني من قرنيه. أقف مسرعًا، أشغل مصباحًا احتياطيًا بخوذة رأسي. يقترب المينوتور بسرعة! أتفاداه بأعجوبة وأقفز جانبًا، ليدخل برأسه في حائط الممر. يُخلّص رأسه ويلتفت إليذ، الغضب يتملكه وهو يخور وينفث الجحيم من منخريه! يعدو بكل قوته في اتجاهي. أحاول أن أتفاداه ولكنه يمسك بي، يرفعني عاليا كالرضيع ويلقي بي إلى آخر الممر، اللعنة! لقد تحطمتْ عظامي كلها تقريبًا! وخيط النجاة اختفى من خاصرتي. أحاول أن أقف، ولكن جسدي يرتجف، عضلاتي خائرة. يقترب عدوًا وهو يحني رأسه، يريد أن يزرع قرونه بجسدي! أمد يدي جانبي في يأس، فأشعر برأس رمح! أمسكه بسرعة وأرفعه عاليًا، يقترب هو مني بسرعته. لم يستطع التوقف بفعل القصور الذاتي! أقفز من مكاني بقوة الأدرينالين الذي تدفق في دمي، وأستدعي كل خبراتي القتالية في مصارعة الثيران، لأزرع الرمح ببطنه، فيصرخ صرخةً اشتعل لها شعر رأسي شيبًا! يتفجر

الدم من جرحه، يلتفت إليّ بعينين تطلقان الشرر، ينتزع الرمح ويلقيه جانبًا، كأنه لا يموت! يتملكه الغضب؛ يريد الثأر! يندفع نحوي مرة أخرى بكل قوته، أتمالك نفسي وأعدو لأنجو بحياتي. أشعر بأنفاسه خلفي وأسمع خواره وصدى حوافره. الحاسة السادسة التي نمت مع خبراتي الكثيرة في مصارعة الثيران تخبرني أن ألقي بجسدي يمينًا، لأجده يندفع بسرعته إلى آخر الممر! أتقهقر لألتقط أحد رماحي وأنا أختبئ بجانب الممر، يعود وحوافره ترسل الزلازل إلى الأرض بحثًا عني! أقفز بآخر ما أوتيت من قوة وأغرز الرمح، أثناء اندفاعه نحوي، فيما أظن أنه قلبه، وأدفع.. أدفع.. أدفع حتى تتفجر دماؤه في وجهي.

كنت أظن أن خواره في أول مرة كان عاليًا؛ لأني لم أكن قد سمعت بعد خواره في هذه المرة! اهتزت الممرات، ووقعتْ من الأسقف الأحجار العالقة، وهو يصرخ ويصرخ، ثم أعقبها بضحكة عالية، وهو يقول: «الآن ستعود إلى سجنك (أستريوس)، وتكمل عقاب الآلهة!»، ثم سقط أرضًا، وهمدت حركته تمامًا.

وقفت ألهث. (أستريوس) هو اسم (المينوتور) الأصلي. كيف يكون هذا أنا!؟ أيكون من خرج من المتاهة في جسم (ثيسيوس) هو (المينوتور) نفسه!؟ تتكشف لي الحقيقة تباعًا في ذكريات الوحش بعقلي. ذلك أنا (أستريوس) أو (المينوتور) أهرب مع أختي (أريادني)، التي ساعدتني في الهرب وخدعت (ثيسيوس)، إلى مصر حيث أزرع بذوري هناك. آخرها -طبعًا- مصارع ثيران باسم (وائل غنيم)! يهتز جسدي ويرتجف، وكأنني أصبتُ بالحمى. صوتٌ يتردد في رأسي: «لتقتلني فأنتصر، أو أقتلك فأنتصر!».

قدماي تتحولان إلى حوافر! أرفع يديّ أمسك برأسي، لأجد قرنين في أعلاها، ووجهي يتحول إلى وجه ثور!

⭑ تمت بحمد الله ⭑





فهرس


My
Review



facebook.com/FantasiansPub

Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

رابطة (فانتازيون)

facebook.com/Fantasians

facebook.com/groups/Fantasians

حين يأتي الخوف

تصميم الغلاف: محمد أبو الهنا



